



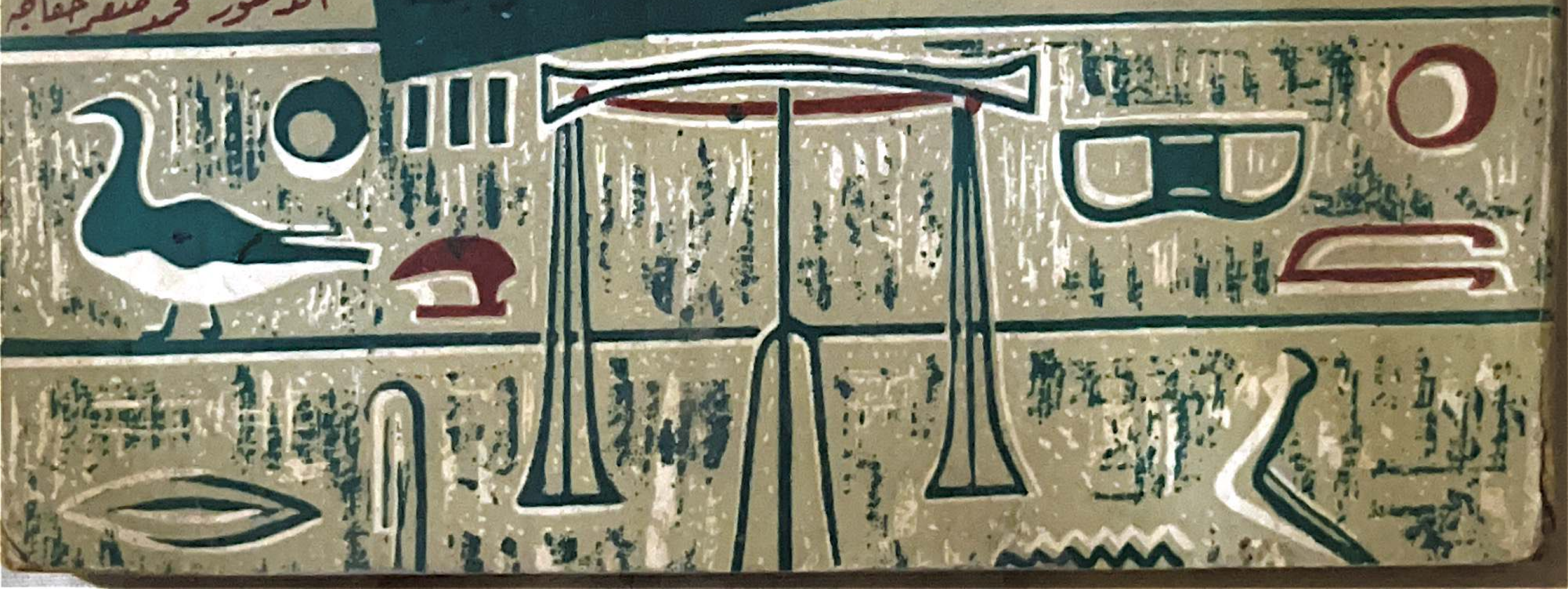


إيزيس و أوزيريس

تأليف
بلوتارخوس

ترجمة
الدكتور حسن صبحي بكري

راجعه
الدكتور محمد صقر خفاجه



باشراف ادارة الثقافة
بوزارة التربية والتعليم

إيزيس وأوزيريس



الألف كتاب
٢٣٥

رسالة بلوتارخوس
عن
ايزيس
واوزيريس

ترجمها عن اليونانية
الدكتور حسن صبحي بكري

راجعها
الدكتور محمد صقر خفاجه

هذه ترجمة كتاب :

Περὶ Ἴσιδος καὶ Ὀσίριδος

تأليف :

PLUTARCHOS



الناشر : دار القلم

مقدمة

ولد پلوتارخوس (Plutarchos) حوالى عام ٤٦ ميلادية فى مدينة خايرونيا (Chaironeia) فى أقصى شمال بوؤتيا (Boiotiai) بوسط بلاد اليونان . وكان أبوه كاتبا كبيرا وفيلسوفا عظيما . أرسله إلى أثينا (Athenai) حوالى عام ٦٦ ميلادية ليدرس الفلسفة وعلوم الطبيعة والخطابة . غير أنه برع فى علم الأخلاق . وكان إنسانا لطيفا أحبه كل من عرفه ، ولاسيما أهل بلدته خايرونيا . وكان شخصا وديعا للغاية يتفانى فى خدمة الناس . ويحتمل أنه عين قنصلا فترة من الزمن . وقد كان كثير الانتقال والسفر — زار روما ، واسبرطة ، وكورنثة ، والإسكندرية ، وغيرها من البلدان . ولكن حبه للأسفار

لم يطغ على حبه لمسقط رأسه ، ووطنه الصغير « خايرونيا » حيث استقر به المقام فى نهاية المطاف ، وافتتح مدرسة لتعليم التاريخ والفلسفة والأخلاق . ولكنه لم يقطع صلته بتلك المدينة المقدسة القديمة « دلفى » (Delphoi) التى اشتهرت بمعبد الإله أبوللون ، والحجر المقدس المسمى « سرة الأرض » (Omphalos) أى وسطها . فقد عين بها كاهنا فى عام ٩٥ م ، وظل كذلك حتى توفى بعد سنة ١٢٠ م . وقد أنجبت له زوجته تموكسينا (Timoxena) خمسة أطفال : أربعة ذكور وأنثى واحدة .

ويمتاز بأنه كاتب قدير ، ألّف كثيرا من من الرسائل زاد عددها على الستين سُمّيت بالأخلاقيات (opera moralia) تناول فيها موضوعات شتى فى الأخلاق والدين والسياسة والفلسفة . فاهتم بفلسفة فيثاغورس ، ونقد الرواقية ، والأبيقورية وامتدح الأفلاطونية . وإلى جانب ذلك ألّف فى الطبيعة والفلك ، والتاريخ الطبعى ، والآثار . وبرع أيضا فى

كتابة تراجم لمشاهير الجنود ، ورجال السياسة ، والمشرعين ، والأطباء من الأغريق ، والرومان تشهد له باطلاع واسع فى التاريخ ، وفهم دقيق لشئون السياسة . غير أن اهتمامه بالأخلاق ، والفضيلة كان أعظم من اهتمامه بأى شىء آخر ، وذلك لتدينه الشديد ، وتقواه البالغة . وقد تجلى احترامه للدين ، واحتقاره للخرافة فى رسالته عن إيزيس وأوزيريس

Περὶ Ἴσιδος καὶ Ὀσίριδος

(De Iside et Osiride)

« بالفصل ٦٧ » وفى رسالته عن الخرافات Περὶ δεισιδαιμονίας على وجـــه خاص De superstitione فالخرافة فى رأيه ما هى إلا التقوى فى أبشع صورها وأقبحها ، والإلحاد أقل شرا من الخرافة ، وإن كان مصدر الخرافة والإلحاد واحدا ، هو الجهل بطبيعة الله . وكان يرى أن السبيل إلى التقوى الصحيحة معرفة الحقيقة عن طريق إعمال العقل ، وكبت المشاعر . لذلك أخضع الأخلاق ، والدين ، والفلسفة جميعا للعقل . ورأى فيه مصدرا لسعادة الإنسان ،

ومُعيناً له على فهم أمور الدين . وقد قال يجب
على الإنسان فى هذه الأمور أن « يأخذ بالمنطق
الذى ينبع من الفلسفة » « الفصل ٦٨ » .
وعرّف الفضيلة بأنها إخضاع الجانب الشهوانى ،
وغير العاقل من الروح للجانب العاقل منها .
وقد عالج ذلك فى مؤلفه عن الخلق الفاضل

De virtute morali — Περὶ τῆς ἠθικῆς ἀρετῆς

ولعله اهتم بمختلف المذاهب الفلسفية
لأنها صادرة عن العقل ، فذكرها جميعا فى
وقت واحد ، وجنبا إلى جنب كما تبدو فى
رسالته عن إيزيس وأوزيريس حيث حاول
التوفيق بينها جميعا . فأصبحت فلسفته الخاصة
— إذا جاز لنا أن ننسب إليه فلسفه ما —
فلسفة أخلاقية عقلية عملية .

ثم إنه بحث فى الله وعلاقته بالوجود على
غرار الفلاسفة الذين جاءوا من قبله ، والذين
اهتدوا إلى ذلك الكائن الأول المدرك بالعقل
يقول : إن الله — أو ذلك العقل — قد خلق
الكائنات ، ورعاها ، وإن هذه الكائنات

تدركه بالعقل عن طريق وسطاء من الجِنّة
الخيرة كالإلهين إيزيس ، وأوزيريس .
وهكذا استغل حوادث أسطورة
إيزيس وأوزيريس لتفسير آرائه فى الأخلاق ،
والدين ، والفلسفة ، وللتعليق على تلك الآراء
السخيفة التى يراها بعضهم فى الله ، وللدفاع
عن الرأى القائل بأن الأمم ، وإن اختلفت
شعوبا ، تتحد فى عقيدتها فى ذلك الكائن العاقل .
ومع ذلك يذهب إلى أن هناك مبدأين : مبدأ
للخير ، ومبدأ للشر ، وإلى أن فى وجود مبدأ
الشر بجوار مبدأ الخير — أو على الأحرى
فى تصارعهما — ضرورة لبقاء الكون واطراد
الحياة ، إلا أنه ينفى عن الله الشر ، ولا ينسبه
إلا إلى الجِنّة الخبيثة .

وفى الحق نجح نجاحا عظيما فى استغلاله
هذه الأسطورة ، إذ كانت عقيدة الإلهين
إيزيس وأوزيريس — أو على وجه أصح
سرابيس — واسعة الانتشار فى ربوع
الإمبراطورية الرومانية من ناحية ؛ فشيد
القوم لهما فى أوربا معابد شتى ، ونذروا لهما

النذور ، وعيّنوا لها الكهان الأتقياء المجتهدين ذلك فى الوقت الذى كانت ديانة الإمبراطورية فيه قد عفا عليها الزمن ، ومن ناحية أخرى كانت تلك العقيدة المصرية فى أوربا ذات أثر قوى فى النفوس ؛ فكانت سلوى القوم فى مصائب هذه الحياة الدنيا ، ومبعث الأمل فى حياة سعيدة فى الآخرة . وكانت تجذب قلوب الناس بأفكارها النبيلة ، وأعيادها، وأحفالها، وطقوسها . لقد كانت إيزيس فى أوربا مثال الزوجة المخلصة الوفية ، والأم الرءوم ، والمرأة الورعة التقية ، كما كانت رمزاً للحب الخالص عند الفتيات ، والفتيان . وكان أوزيريس أيضا مثال الزوج الشهم ، والأب الكريم ، والحاكم العدل ، وفوق هذا وذاك معلم البشر الأول، ومؤسس الحضارة الإنسانية ، ورسول المحبة والسلام على الأرض ، مما تفيض به الأناشيد المصرية ، والنصوص اليونانية والرومانية القديمة . وكان كلا الإلهين ينصح الناس باتباع الفضائل ، وينهاهم عن ارتكاب المعاصى خشية يوم الحساب .

ولم ينس الناس آلام إيزيس وأوزيريس فى العصور الحديثة . ففى القرن الثامن عشر استغل الموسيقى الألمانى الشهير موزارت (١٧٥٦ — ١٧٩١ م) أسطورة إيزيس، وأوزيريس فخلق منها أوبرا عالمية سماها «الناى السحرى» (Zauber Flöte) . وكان موزارت يستهدف منها نشر الماسونية بين الناس ، وإدخالهم فيها بسحر الموسيقى ، كما كان القوم فى بلاد اليونان والرومان القديمة يدخلون فى الأسرار الدينية للإلهة ايزيس من قبل .

ولا شك فى أن الفضل فى كل هذا يرجع إلى بلوتارخوس ، إذ أنه كان أول من عرف العالم منذ بداية التاريخ الميلادى بهذه الأسطورة فسرد حوادثها سردا يكاد يكون كاملا بينما اقتضبتها النصوص المصرية القديمة ، ونشرتها مبعثرة على جدران الأهرام ، وجوانب التوابيت ، وصفحات البردى ، واللوحات الجنازية . كتبها باليونانية القديمة ثم ترجمها

الكُتّاب فى العصور الوسطى والحديثة إلى لغاتهم[1] اللهم إلا العربية ؛ مما حفزنا إلى سد هذا النقص بترجمتنا الحالية .

(١) لرسالة بلوتارخوس ست مخطوطات : اثنتان فى باريس ، وثلاث فى فلورنسا ، وواحدة فى البندقية . وقد نشرت وترجمت إلى لغات مختلفة منها ما يأتى :

اللغة	الناشر والمترجم	الطبعة	العام
اللاتينية	Wilh. Xylander	طبعة بازل	١٥٧٠
	Herm. Cruserius	» »	١٥٧٣
	G. Bemardakis	» ليبزج	١٨٨٩
	W. Sieveking	» »	١٩٣٢
الفرنسية	Jac. Amyot	» باريس	١٥٥٩
	Dom. Ricard	» »	١٧٨٣ — ١٧٩٤
	Mario Meunier	» »	١٩٢٤
الإيطالية	Sebast. Ciampi	» ميلاند	١٨١٩ و ١٨٢٧
الأسبانية	Diego Grcacian	» الكالا	١٥٤٨
		وسلامنكا	١٥٧١
الألمانية	J. S. Semler	برزلاو ، وليبزج	١٧٤٨
	J. F. S. Kaltwasser	فرنكفورت ـ ماين	١٧٨٣ — ١٨٠٠
	J. Chr. F. Bähr	» شتوتجارت	١٨٣١
	Gustav Parthey	» برلين	١٨٥٠
	Theodor Hopfner	» براج	١٩٤١
الإنجليزية	W. Baxter	» لندن	١٦٨٤ و ١٧١٨
	Sam. Squire	» كمبردج	١٧٤٤
	C. W. King	» لندن	١٩٠٨
	F. C. Babbitt	» لندن	١٩٣٦ و ١٩٥٧
	W. W. Goodwin	» بوستن	١٨٧٤

قلنا : إنه استغلها فى التعبير الرمزى عن آرائه فى الأخلاق ، والدين ، والفلسفة ، فجاءت مناسبة للظروف التى عاش فيها ، إذ كان عصره عصر فلسفة . وفى أوائل عام ١٩٥٦ ظهرت لتوفيق الحكيم مسرحية بعنوان « إيزيس » عرض فيها قضية الصراع بين رجل العلم والمبادىء ، ورجل الحيل والسياسة كما يقول فى بيانه الذى ذيّل به مسرحيته . ويتساءل الحكيم : « أهو العالم الذى يخترع ويكتشف ويوفر الغذاء ويغير المصائر ؟ أم هو الرجل الآخر (أى رجل السياسة) الذى يتفوق بالبراعة فى الاستحواذ على أزِمّة الجموع ؟ » هذا هو الصراع الذى يتميز به عصرنا اليوم ، والذى يتنبأ الحكيم باحتدامه حوالى سنة ٢٠٠٠ ميلادية ، أى بعد نصف قرن تقريباً ، ويصوّره فى صورة الصراع بين أوزيريس ، وأخيه توفون ، ذلك الصراع الذى انتصر فيه توفون الشرير الهدام على أوزيريس الخير المصلح . ولكن إيزيس

لم تستطع أن تنتزع من توفون هذا الانتصار إلا بعد أن حاربته بسلاحه هو ذاته ، وعاونها شيخ البلد الداهية الذى كان ساعد توفون الأيمن بعد أن اشترته بالأصفر الرنان .

ويقول توت لمسطاط : «اسمع يا مسطاط ! إن مبادئ أوزيريس ... أى مبادئنا لا يمكن أن تعمل عملها إلا فى حالة واحدة وعلى فرض واحد : هو خلو الميدان من المغامر المحتال ... أما إذا ظهر المغامر فلا بد أن تحاربه بسلاحه كى تنتصر[1] ... وفعلا انتصرت عليه ، واستطاعت أن تجلس ابنها هورُس على عرش أبيه أوزيريس .

ولقد روى بلوتارخوس أسطورة إيزيس فى قالب قصصى ، بينما صاغها الحكيم فى قالب مسرحى ، واقتبس أهم حوادثها من رواية بلوتارخوس نفسه اقتباساً يكاد يكون صادقاً ، وضمّنها قضيته الإنسانية بأسرها — وبعبارة أخرى — أهم مشكلات الزمان

(١) الفصل الثالث ، المنظر الأول ، ص ١٣٨ و ١٣٩

الذى نعيش فيه . وفى الواقع سُردت معظم حوادث الأسطورة فى المسرحية بطريق غير مباشر — هو الحوار — حتى لتكاد مسرحية الحكيم أن تخرج من مجال «الدراما» إلى مجال القصة . ولسنا هنا فى مجال يسمح لنا بنقد مسرحية الحكيم من الناحيتين الأدبية ، والفنية إذ يهمنا منها الحوادث أكثر من أى شىء آخر . ولقد قال الحكيم فى أول عبارة من بيانه : «ليس المقصود هنا تصوير الحياة الفرعونية ، أو بسط العقائد المصرية ، بل المقصود هو إبراز أشخاص الأسطورة إبرازاً جديداً إنسانياً ، وتخريج معناها على النحو المفهوم الحى فى كل عصر وفى العصور الحديثة على الأخص» . وإننا نخالف الحكيم فى الشطر الأول من عبارته ، لأنه صوّر لنا فى أشخاص المسرحية البارزين بعض نواحى الحياة ، والأخلاق ، والعادات المصرية القديمة : كالصراع بين أوزيريس ، وتوفون على عرش مصر ، والصراع بين هورُس «المنتقم

لأبيه ، وتوفون ، وحزن إيزيس الشديد عليه ، وبحثها عنه فى كل مكان ، وسحر إيزيس ، وقصة الوليمة التى أولمها توفون لأخيه أوزيريس ، وتمكنه من إغلاق الصندوق عليه ، وإلقائه فى البحر [1] ، وسفر إيزيس إلى بوبلوس ، وعودتها من هناك به ، ومؤامرة توفون على أوزيريس ، وقتله إياه مرة أخرى ، وإلقاء أشلائه فى كل حدب ، وصوب ، وكفاح إيزيس فى تربية هورس حتى يكبر ، وينتقم من عمه توفون ، واتهام توفون لهورس بأنه ابن غير شرعى لأوزيريس .. الخ [2]

وهكذا كانت أسطورة إيزيس ،

---

(١) غير أن الحكيم ابتكر هنا قصة انتشال بحارة إحدى السفن صندوق أوزيريس من البحر وبيعهم أوزيريس إلى ملك بوبلوس — جبيل بسورية — وربما لجأ إلى ذلك لضرورة درامية .

(٢) ثم أن الحكيم ابتكر أيضاً حضور ملك بوبلوس إلى مصر ليقص على الشعب الذى يحاكم هورس ، وتوفون قصة صندوق أوزيريس ، فيعلم الشعب الحقيقة ، ويثور على توفون فيهرب هذا طلباً للنجاة ، ويستولى هورس على عرش مصر .

وأوزيريس فى الزمان القديم ، والحديث خير الأساطير التى يمكن استخدامها للتعبير عن كثير من الأفكار ، والقضايا الإنسانية .

وجدير بنا أن نخرج للقارئ العربى عامة ، وطلاب الدراسات القديمة خاصة ، ترجمة للأسطورة كما رواها پلوتارخوس باليونانية القديمة . وقد توخّينا أن تكون الترجمة صادقة أمينة ، اعتمدنا فيها على النص اليونانى الذى نشره بابيت .

Babbitt, F. C., Plutarch's Moralia, London, 1936, Vol. V. 351 C. - 384 C., pp 6 — 191.

وحقّقه هُپفنر

Hopfner, Th., Plutarch über Isis und Osiris , Prag, 1940.

ورسالة پلوتارخوس عن إيزيس هى الرسالة الثامنة عشرة بعد المائة من مؤلفاته حسب «كتالوج» لامپرياس (Lamprias) . وقد ورد عنوانها فى هذا «الكتالوج» هكذا : «قصة إيزيس وسراپس» . وجدير بالذكر

أننا نهجنا منهجاً جديداً فى ترجمة أسماء الأعلام القديمة إلى العربية ؛ فكتبناها كما كان ينطقها الإغريق القدماء . وكتبناها بين قوسين بالحروف اللاتينية ، إلا ما عُرّب ، واشتهر فقد أثبتناه كما شاع لنتجنب كل غموض ، وإبهام . وبذلك نكون قد توخينا الأمانة ، والدقة فى ترجمة الأسماء الأعجمية . وإنّا لعلى يقين أننا بفضل ما أخذنا من ألوان الثقافة قديمها ، وحديثها سنستطيع أن نتذوق كتابة هذه الأعلام القديمة ونستسيغها .

وإننا لننوّه فى هذا الصدد بمجهود الدكتور محمد صقر خفاجة الذى راجع الترجمة على النص اليونانى بدقة وأناة . وإننا لا يسعنا إلا أن نشكر له على ذلك خالص الشكر .

والله نسأل أن يوفقنا إلى ما فيه الخير ، والسداد .

حسن صبحى بكرى

الزمالك فى أغسطس ١٩٥٨

مصر

البحر المتوسط

بوتو

خويس

سايس

بوزوريس

منديس

بيلوسيوم

هليوبوليس

ممفيس

هيراكليوبوليس

أوكسورونخوس

هرموبوليس ماجنا

ثيس

خمتيس

آبودوس

كوبتو

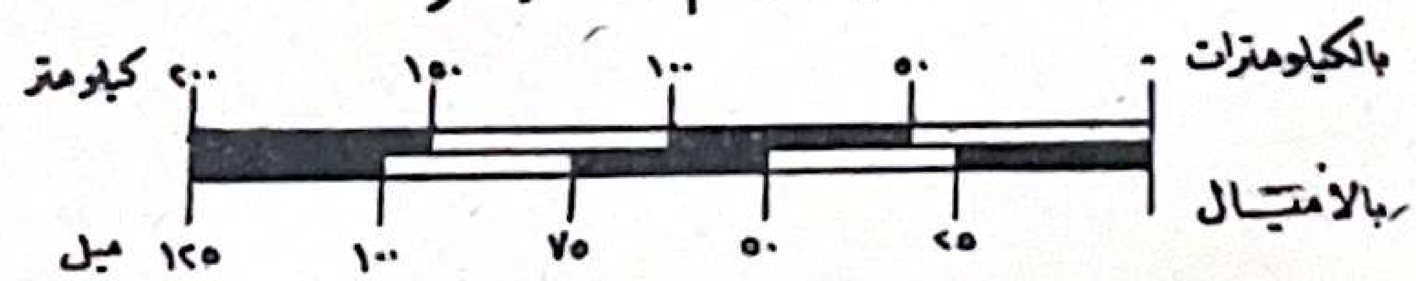
طيبه

ايليوثيا

ابوللونوبوليس ماجنا

سين

مقياس الرسم ١ : ٥,٠٠٠,٠٠٠



إيزيس وأوزيريس

١ — إن من واجب الحكماء، ياكليا، أن يطلبوا من الآلهة كل خير، أما نحن على وجه خاص فنتوسل إليهم فى بحثنا لنعرف منهم، بقدر ما نستطيع، حقيقة أنفسهم. فلا أجلّ عند الإنسان من أن يبلغ الحقيقة، ولا أعظم عند الله من أن يهبها. أما ماعداها من الأشياء التى يحتاج الناس إليها فيهبهم الله إياها. ولكنه لا يمنحهم من الفهم، والزكانة سوى جزء واحد، فهما ملكه الخاص، ومجال نشاطه. فما هو سعيد لامتلاكه اللجين، والنضار، وما هو بعزيز بالرعود، والبروق بل بالحكمة، والزكانة. وإن هذين البيتين لأروع ما قاله هوميروس عن الآلهة:

حقيقة إنهما من أصل واحد، وبلد واحد

ولكن وُلد زيوس قبله، وكان ذا حكمة أعظم

وبذلك بين أن سلطان زيوس كان أنوى (من سلطان أخيه پوسيدون) لأنه كان أعرق فى المعرفة، والحكمة. وأعتقد أيضا أن سعادة الخلود عند الله ناشئة من أن كل مايحدث فعلا لا يغيب

عن عله . أما إذا فقد إدراكه لحقيقة الموجودات ، وتفكيره فيها فلن يكون خلوده حياة بل مجرد فكرة زمنية .

٢ — ولذلك فالتطلع إلى الحقيقة — وخاصة حقيقة الآلهة — هو تطلع سماوى لأنه يتوصل بالدرس والبحث إلى معرفة الكائنات المقدسة ، وهو عمل أشد قدسية من التطهر ، ومن أى صلاة ، أو طقس دينى .

وهذا التطلع يبعث السرور خاصة فى نفس تلك الإلهة التى تعبدينها ، تلك الإلهة الحكيمة ، وحبيبة الحكمة بلامنازع ، فاسمها يدل دلالة واضحة على أن المعرفة والحكمة تناسبانها تماما . فإيزيس يونانية ، وكذلك توفون عدوها الذى أعمته جهالته ، وغفلته ، فمزق النصوص الدينية ، وتركها تذروها الرياح فجمعتها الإلهة ثانية ، وضمت أجزاءها بعضها إلى بعض ، وسلمتها لأصحاب اللقانة ، وعودتهم بهذا العمل الدينى الذى يقوم على نظام صارم يتطلب الحد من الرغبات الجامحة ، واللذات الجارفة ، والزهد عن ألوان الطعام — عودتهم أن يقيموا فى المعابد صلاة صارمة عنيفة الغرض منها معرفة الكائن الأول والمثل الأعلى ، سيد الخلق الذى تحضنا الإلهة على البحث عنه ، لأنه يقيم معها ، وموجود بجوارها . ويدل أيضا اسم هيكلها دلالة واضحة على إدراك الحقيقة ومعرفتها . فهو يسمى

ايزيون ليبين أننا سوف ندرك الحقيقة إذا دخلنا زونة (١) الإلهة عاقلين متقين .

٣ — وكذلك يرى كثير من الكتاب أنها ابنة لهرميس ، ويقول كثير غيرهم إنها ابنة بروميثيوس اعتقاداً منهم بأن بروميثيوس هو الذى اكتشف الحكمة ، والنبوة ، وبأن هرميس هو الذى ابتكر علم القواعد ، وفن الموسيقى . وهذا هو السبب الذى يدعون من أجله كبيرة عرائس الفن فى مدينة هروبوليس إيزيس ، و« العدالة » ذلك لأنها حكيمة — كما ذكرت — ولأنها تكشف الأسرار الإلهية لأولئك الذين يدعون « حملة السلال المقدسة » و « أصحاب الأردية المقدسة » . وما حملة السلال إلا أولئك الذين يحملون فى نفوسهم النصوص المقدسة المتعلقة بالآلهة خالية من كل خرافة وصنعة ، يحملونها كما لو كانت فى سلة ، ويعتنون بها ، ويشيرون بذلك إلى فهمهم الآلهة فهما مبهما حالكا فى بعض الأحيان ، واضحا متألقا فى البعض الآخر ، وهذا مايعبر عنه بوضوح ارتداء الثوب المقدس « لكاهن إيزيس » ، ومن أجل هذا كان تكفين الموتى من عباد إيزيس بهذه الأردية رمزاً إلى أن هذه النصوص الدينية تصاحبهم ، وإلى أنهم يرحلون إلى العالم الآخر

(١) الزون ، والزونة — بيت الأصنام الذى يتخذ ويزين . الافصاح فى فقه اللغة ص ٦٩٧

وليس فى حوزتهم سواها . أى كليا ! إن ارسال اللحى ، وارتداء الثياب الخشنة لايخلقان الفلاسفة ، كما أن لبس الكتان ، وحلق الشعر لايجعلان الناس كهانا لإيزيس . إنما عابد إيزيس الحقيقى هو الذى يبحث بإمعان ، ويتأمل الحقيقة التى يشتمل عليها كل مايقدم لهؤلاء الآلهة ، وكل مايقام لهم من احفال عندما يتسلمه وفقا للتقاليد الموروثة .

٤ — حقا إن معظم الناس يجهلون هذا الأمر العادى جدا ، القليل الأهمية : أى السبب الذى يزيل الكهان من أجله شعورهم ، ويرتدون أردية كتانية ، فبعضهم لا يأبه ألبته بمعرفة شىء ما عن هذه المسألة ، بينما يقول بعضهم الآخر : من أجل تبجيل الشاة يصدف الكهان عن استعمال صوفها ، ويعزفون عن لحمها ، ويحلقون رءوسهم حدادا ، ويرتدون أرديتهم الكتانية من أجل لون الكتان عندما يزهر ، وهو لون شبيه بلون الأثير الذى يحيط بالكون . بيد أن لكل هذا علة واحدة صحيحة ؛ وهى أنها كما قال أفلاطون : « مامن شىء طاهر ينبغى أن يمس شيئا غير طاهر[1] » . فليس فائض الطعام أو الافراز طاهرا وصحيا . ولما كان الصوف ، والوبر ، والشعر ، والأظافر تنبت ، وتنمو من أنواع الفائض ، فمن السخف إذن أن يزيل أولئك الأشخاص عند التنسك شعورهم

(١) محاورة فيدون ، فصل ٦٧ ب

بالحلق ، وأن يصقلوا جميع أجسامهم ، ثم يشتملون فى الوقت ذاته بوبر الإبل ، ويرتدونه . فعندما قال هيسيودوس :

إذا أنت أكرمت الآلهة فى حفل عظيم فلا
تقطعن الذابل من الناضر بحديدة براقة حادة
فتبتر ذلك العضو ذا خمسة الفروع

أراد أن يعلم الناس أن يتطهروا من مثل هذه الأشياء عندما يقيمون حفلا عظيما ، فلا يشغلون فى أثناء هذه الأحفال المقدسة ذاتها بالتطهر ، وبالتخلص من المواد الفائضة (وهى هنا الاظافر) بيد أن الكتان ينبت من الأرض الخالدة (أى المقدسة) ويخرج ثمارا تؤكل ، ويزود الإنسان بلباس بسيط ، ونظيف لايضايقه بذلك الثقل الذى يحتاج إليه الإنسان عادة (لتدفئته) وهو مناسب لكل فصل ولايولد ، كما يقولون ، الحشرات الخبيثة . ولقد تحدثنا عن هذا الموضوع فى موضع آخر[1]

٥ — ويعاف الكهان كل ماله خاصية الإفراز حتى إنهم لايعزفون فحسب عن معظم الخضر ، وأصناف اللحوم كلحم الضأن ، ولحم الخنزير مما يخرج افرازات كثيرة ، بل إنهم لايستعملون الملح أيضا فى طعامهم فى أثناء تنسكهم ، ويعللون هذه تعليلات عدة متباينة ،

Moralia, 642 C. (١)

غير أنهم يزعمون أن الملح على وجه خاص إذ يشحذ الشهوة إلى الطعام ، يثير فى الإنسان الشرب ، والنهم . فالاعتقاد بأنه « نس » ، كما يزعم أريستاجوراس ، لأنه عندما يتبلور يحبس داخله حيوانات صغيرة كثيرة فتموت فيه ، لاشك اعتقاد سخيف .

ويقال أيضا : إنهم يسقون (العجل) آپس من بئر خاصة ، ويبعدونه عن النيل تماما ، لا لأنهم يعدون ماءه ، كما يعتقد بعضهم ، دنسا بسبب التماسيح — فما من شيء يبجله المصريون تبجيلا عظيما كالنيل — بل يظهر أن شرب ماء النيل يسمن ويشحم ، ولكنهم لايرغبون للعجل آپس ، ولا لأنفسهم أيضا ، مثل هذه الحال ، بل يرغبون أن يكون الجسم المحيط بالروح خفيفا نحيفا . فلا يكبت العنصر الفانى العنصر الالهى (فيه) ويثقل عليه .

٦ — أما أولئك الذين يعبدون الإله فى هليوبوليس فلايجلبون نبيذا ألبته فى معبده إذ لايليق بهم أن يحتسوا نبيذاً فى وضح النهار بينما يطلع عليهم سيدهم ، ومليكهم ، ويحتسى غيرهم النبيذ بقدرمعقول إذ يتنسكون أوقاتا كثيرة لايشربون فيها النبيـــذ ، بل يقومون بالبحث ، ويستذكرون المسائل الدينية ، ويدرسونها . واعتاد الملوك أيضا ألا يشربوا من النبيذ إلا قدرا محدودا ذكرته الكتب المقدسة ، كما قال هيكاتيوس ، لأنهم كانوا كهانا ؛ وإنما أخذوا يحتسونه من عهد پسماتيخوس ؛ ولكنهم لم يشربوا قبل ذلك العهد نبيذا قط ، ولم

يريقوه قربانا حبيبا إلى الآلهة ، بل كانوا يرون فيه دم الذين قاتلوا الآلهة فى غابر الزمان ، ولما هووا من السماء ، واختلطوا بالتراب نبتت منهم الكروم . ومن أجل هذا يلعب السُّكر بالحواس ، ويذهب بالعقول إذ يمتلىء السكارى عندئذ بدم السلف ، ويقول يودكسوس فى كتابه الثانى من مؤلفه « رحلة حول الأرض » إن الكهان ذكروا هذه الأمور على ذلك النحو .

٧ — أما سمك البحر فلا يعزف عنه سائر (المصريين) ، بل يزهدون فقط فى أنواع معينة منه ، فيعزف مثلا أهل اكسورينخوس عن أكل السمك الذى يصيده الشص . ولما كانوا يبجلون السمك المسمى اكسورينخوس (سمك الكراكى)[1] ولذا كانوا يخشون أن يصبح الشص دنسا بعد أن يكون قد صاد سمكة من هذا النوع . ويعزف أهل سوينا عن سمك المرجان[2] ، إذ يظهر أن هذا السمك كذلك يفد مع فيضان النيل ، ويأتيهم متطوعا مختارا يبشرهم بأخبار هذا الفيضان . ولكن الكهان يصدفون تماماً عن جميع أنواع السمك. وفى اليوم التاسع من الشهر الأول عندما يلتهم سائر المصريين

(١) سمك الكراكى (Pike) سمك نهرى طويل الخطم واسع الفم نهم كالقنومة التى فى النيل يكون فى المياه العذبة فى أوربة : ولعله الاسم الشائع فى مصر . معجم الحيوان ، ص١٨٩

(٢) اسبور (Sea-Bream) معجم الحيوان ، ص٣٩ ومنه المرجان (pagrus) معجم الحيوان ، ص ١٨١

سمكا مشوياً أمام باب الدار لايذوق الكهان منه شيئا ، بل يحرقون السمك عند أبوابهم . ويعللون مسلكهم هذا بسببين : أحدهما دينى وغريب يتعلق بالتعاليم الدينية الخاصة بأوزيريس ، وتوفون ، وسأعود إلى مناقشته فيما بعد ، والآخر واضح وعادى ، وهو أن السمك غذاء غير ضرورى ، وزائد على الحاجة . وهذا يؤيد هوميروس عندما يصف الفياكيانس الذين كانوا فى بلهنية من العيش، وأهل إيثاكا ، بأنهم قوم لايأكلون السمك ، وكذلك فعل رفاق أودوسيوس الذين كانوا على سفر طويل عبر اليم حتى أشرفوا على الضنك . ولكن المصريين يعدون البحر على وجه العموم مادة غريبة وفائضة ، وليس جزءا (أصليا من الكون) أو عنصرا ما ، بل افرازا فاسدا معتلا .

٨ — لم تحوِ شعائرهم أى شىء غير معقول ، أوخيالى ، أو خرافى، كما يعتقد بعض الناس ، ولكنّ لبعضها أسساً خلقية وعملية ، بينما لا يفتقر بعضها الآخر إلى مغزى تاريخى أو طبعى كالمسألة المتعلقة بالبصل مثلا . فلايمكن مطلقا تصديق الرواية التى تقول بأن ديكتوس ربيب الآلهة إيزيس سقط فى النهر ، وغرق فيه إذكان يناهز[1] حزمة بصل . ولكن الكهان يعرضون عن البصل، ويمقتونه

(١) النهز التناول باليد ، والنهوض للتناول ، وقد ناهزت الشىء وانتهزته تناولته من قرب وبادرته ... الإفصاح ص ٧٣٠

ويحرصون على تجنبه لملاحظتهم أنه النبات الوحيد الذى ينمو ، ويترعرع فى خسوف القمر . ولايوائم أيضا الصيام أو الأعياد ، ففى ذاك يثير العطش ، وفى تلك يدمع العين . وعلى هذا النحو يعد المصريون الخنزير حيواناً غير مقدس ، إذ يظهر أنه يميل جدا إلى مضاربة أنثاه فى خسوف القمر ، ولأن أجسام أولئك الذين يشربون لبنه يظهر عليها البرص ، والجرب ذوالبَثْر . أما القصة التى يرويها الكهان ، عندما يعترون الخنزير مرة كل عام فى تمام القمر وفحواها أن توفون إذكان يطارد حلوفا فى ضوء البدر عثر على الصندوق الخشبى الذى كان يحوى جثة أوزيريس ، فمزقها إربا ، ثم بعثرها — فلايقبلها جميع الناس ، لأنهم يعدونها ككثير غيرها من الروايات التى سمعها الكهان ، وفهموها خطأ .

ويروون أكثر من ذلك أن القدماء كانوا يعرضون عن الترف والبَذخ ، ورغَد العيش حتى إنهم أقاموا فى الهيكل الذى فى طيبه لوحة نقشوا عليها لعنات صبوها على رأس مليكهم مينيس ، لأنه كان أول ملك أخرج المصريين من حياة شحيحة فقيرة بسيطه . ويُروَى أيضاً أن تخناكتس والد بكخوريس ، وقد جرّد حملة على البدو ، وتأخر عنه متاعه أتى فى نهم شديد على كل ما وجدته يده . ثم غرق فى سبات عميق فوق فراش من القش ، ومن ثم هام

بحياة الشظف حتى إنه صب لعنته على مينيس ، وأمر بعد موافقة الكهان أن تنقش لعنته على تلك اللوحة .

٩ — وكان الملوك يختارون من بين الكهان ، أو من طبقة المحاربين ، وكان هؤلاء من أجل بسالتهم ، وأولئك من أجل حكمتهم يتمتعون بتقدير موفور ، واحترام بالغ . ولكن كان الذى يختار من بين المحاربين يرسم كاهنا على الفور ، وكان يسمح له بالاشتراك فى فلسفتهم التى كانت غالبا مشمولة بسر من الأساطير ، والقصص التى لم تقدم إلا صورا خفية من الحقيقة ، وأسناء منها كما كانوا يبينون فى جلاء ووضوح أن تعاليمهم الدينية كانت حكمة غامضة . وكان المصريون أنفسهم يشيرون إلى هذا بما كانوا يشيدون بطريقة رشيدة من تماثيل بوحول (بو الهول) أمام معابدهم . فعرش الإلهة أثينا فى سايس التى يعتقدون أنها هى إيزيس عينها يحمل النقش (الصوفى) الآتى « أنا كل ما كان ، ويكون ، وسيكون ، وما من بشر فانٍ رفع عنى ردائى بعد »

وأخيراً يرى جمهرة الناس أن أمون ، وهو من نسميه محرفا أمّون ، اسم لزيوس عند المصريين . ولكن مانثون السمنودى يعتقد أن هذا اللفظ معناه « الخفى » أو « الإخفاء » بينما يقول هيكتايوس الأبديرى : إن المصريين يستعملون هذا التعبير فيما بينهم كلما نادوا واحداً ، إذ أن هذا اللفظ لفظ نداء . فكانوا يطلقونه

على الإله الأول ، وهو فى اعتقادهم الكون نفسه ، وهو مستتر خفى وذلك عند ما كانوا ينادونه ، ويتوسلون إليه أن اظهر لنا ، واستبن ما أعظم حكمة المصريين الخاصة بتعاليمهم الإلهية .

١٠ — يشهد على ذلك أيضا أحكم الأغارقة أمثال سولون ، وطاليس ، وأفلاطون ، ويودكسوس ، وفيثاغورس ، وفيما يقال لوكورجوس أيضا ، ممن وفدوا على مصر ، واختلطوا بالكهان ؛ إذ استمع يودكسوس لتعاليم خنوفيس الممفيسى ، وسولون لسونخس الصاوى ، وفيثاغورس لاينوفيس الهليوپوليسى ، وغالب الظن أنهم أعجبوا بفيثاغورس أيما إعجاب ، وكم أعجب هو كذلك بالكهان حتى إنه قلد طريقتهم الرمزية الغامضة ، فشمل تعاليمه بثوب من الطلاسم ؛ إذ ليس ثمة فرق فى الواقع بين معظم مبادىء الفيثاغوريين وما يسمى بالكتابة الهيروغليفية . هاك أمثلة « لا تأكل على عربة — لا تجلس فوق المكيال — لا تزرع نخلة — لا تقلب النار بالسيف فى البيت » .

وأنا نفسى أيضا أعتقد أن تسمية الفيثاغوريين أپوللون بالوحدة ، وارتميس بالتثنية ، وأثينا بالتسبيع ، وپوسيدون بالمكعب الأول تشبه ما رسموه بالمعابد (المصرية) وفعلوه ودونوه . فهم يكتبون (اسم) مليكهم ، وسيدهم أوزير بعين ، وصولجان — ويفسر كثير من الناس هذا الاسم « بذى العيون الكثيرة » على أن معنى « أوز »

بالمصرية «كثير» و «إيرى» «عين» . ويرمزون للسماء التى لاتهرم أبدا لخلودها [بالصَّل] .

وفى طيبه أقيمت تماثيل قضاة قطعت أيديهم ، وقد أغمض قاضى القضاة عينيه لأن العـــدالة لاترتشى ، ولايدنو منها أحد . ويحمل المحاربون جعلا منقوشا على خواتمهم ، وليس ثمة أنثى للجعل ، إذ كل الجعلان ذكور ، وهذه تفرز منيها فى شىء مستدير ، وليس اهتمامها بإعداد الزاد أقل من اهتمامها بإعداد مكان تربى فيه صغارها [1]

١١ — ولذلك إذا ما سمعت «ياكليا» مايحكيه المصريون عن الآلهة ، عن جولانهم ، وتمزيق أجسادهم ، وعن كثير من مثل هذه الآلام وجب عليك أن تتذكرى ما ذكرناه من قبل ، وأن تعتقدى بأن لاشىء مما يحكى قد حدث ، ووقع فعلا على النحو الذى روى به فهم مثلا لايطلقون على هرميس ، أذكى آلهتهم ، اسم «الكلب» بل يصفونه بأمانة هذا الحيوان ؛ ويقظته وفطنته ، ذلك الحيوان الذى يميز — كما يقول أفلاطون [2] — بين الصديق الذى يعرفه والعدو

---

(١) لايذكرهبفنر (Hopfner) هذه العبارة فى ترجمة الألمانية : Plutarch (Uber Isis und Osiris) المجلد الثانى ، ص ٩ ، بينما وردت فى ترجمة بابيت (Babbitt) الانجليزية (Moralia V) طبعة لويب Loeb ص ٢٩

(٢) الجمهورية ٣٧٥ هـ

الذى يجهله . ولا يعتقدون أيضا أن إله الشمس هليوس يخرج وليدا من زهرة البشنين ، ولكنهم يصورون شروق الشمس على هذا النحو كناية عن اشتعال الشمس من الرطوبة . وكذلك أوخوس أقسى ملوك الفرس وأفظعهم الذى أعدم الكثيرين ، ثم ذبح العجل آبس فى النهاية ، وأكله هو وخلانه — هذا الملك كانوا يلقبونه — « بالسيف » ، وما زالوا حتى اليوم يسمونه بهذا الاسم فى قائمة الملوك ولاشك أنهم لا يقصدون بذلك «طبيعة» الملك ، بل يشبهون قسوة خلقه بإحدى آلات الاغتيال. فإذا أنتِ أصغيت على هذا النحو إلى التعاليم الإلهية ، وتقبلتها من أولئك الذين يفسرون القصة تفسيرا دينيا فلسفيا ؛ وإذ أنتِ راعيت دائما العادات الدينية مراعاة دقيقة ، وكنت فى نفس الوقت تعتقدين بأنك لن ترضى الآلهة بأى قربان تقدمين ، أو أى عمل تعملين بقدر ما ترضينهم بالإيمان بهم — إذا أنت فعلتِ ذلك ، فسوف تتجنبين الخرافة التى هى شر لا يقل عن الإلحاد .

١٢ — هاكِ القصة أرويها لك موجزة أشد ما يكون الإيجاز ، بعد أن حذفت منها كل مالا يفيد أو ما لا لزوم له :

يحكى أن «ريّا» كانت على صلة «بخرونوس» ، فلما لاحظ هليوس (إله الشمس) ذلك صب عليها هذه اللعنة «ليتها لاتستطيع الوضع فى أى شهر أو أى عام !» ، ولكن هرميس كان متيما بالآلهة،

وكان يعاشرها . فلما لعب النرد مع إلهة القمر (سلينا) ، وكسب منها ما يبلغ ١/٧٠ من كل يوم تسطع فيه جمع كل الأجزاء ، فحصل على خمسة أيام أضافها إلى الثلاثمائة والستين يوما (أى أيام السنة) . وما زال المصريون يسمون هذه الأيام الخمسة حتى اليوم « بالأيام الإضافية » ، ويحتفلون بها أعيادا لميلاد الآلهة .

ويروون أن أوزيريس ولد فى اليوم الأول ، وأن صوتا دوّى فى هذه الدنيا ساعة ولادته يقول : « هاهو رب كل شىء يخرج إلى النور » . ويروى بعضهم أن شخصا يدعى باموليس كان ينزح ماء فى طيبه ، فسمع هاتفا يخرج من معبد زيوس أمره أن يعلن على الملأ بصوت جهورى أن ملكا عظيما خيّرا هو أوزيريس قد وُلد ، وأن خرونوس عهد به إليه ، فتكفّل به ، وأنه أقام عيد « الباموليا » تمجيداً له ، وهذا العيد يشبه عيد (الإخصاب) . وفى اليوم الثانى ولد « أروأيرس » الذى يسميه البعض أبوللون ، وهورس الأكبر . وفى اليوم الثالث ولد توفون ، ولكن فى غير أوانه ، ومن غير الموضع الصحيح إذ انطلق وهو يشق جنب (أمه) . وفى اليوم الرابع ولدت إيزيس بأصقاع رطبة ، وفى اليوم الخامس ولدت نيفثوس التى كانوا يطلقون عليها « تليوتا » (النهاية) و « افروديتا » ويسميها بعضهم أيضا « النصر » .

ويروى أيضا أن أوزيريس ، وأرو أيرس أنجبهما هليوس

« إله الشمس » وأن إيزيس أنجبها هرميس ، وأن توفون ، ونيفثوس أنجبهما خرونوس . ومن أجل ذلك عدّ الملوك ثالث الأيام الإضافية يوماً نحسا ، لم يؤدوا فيه أى عمل ، وكذلك لم يعنوا فيه بأجسادهم حتى يدلهمّ الليل . ويحكون أن نيفثوس تزوجت من توفو . أما إيزيس ، وأوزيريس فقد عشق أحدهما الآخر قبل ولادتهما ، واقترنا وهما فى رحم أمهما ، ويزعم بعضهم أن أروأيرس كان ثمرة هذا الاقتران وكان المصريون يسمونه « هورس الأكبر » والأغريق « أبوللون [1] » .

١٣ — وما إن استوى أوزيريس على العرش حتى انتشل المصريين من حياة الحرمان والتوحش ، فعلمهم كيف يزرعون الحب ، وسن لهم القوانين ، وعلمهم تبجيل الآلهة . وبعد ذلك طوف بالأرض كلها ليمدن أهلها دون ما حاجة إلى استعمال السلاح ، وإنما كان يستميل معظم الشعوب إليه بالإقناع والتهذيب ، ويسحرهم بجميع ألوان الغناء والموسيقى . ولهذا يعتقد الأغريق أنه شبيه بالإله ديونوسوس .

ويروى أن توفون لم يجسر فى أثناء غياب أوزيريس على إحداث الشغب ، إذ كانت ايزيس غاية فى اليقظة ، استطاعت أن تسيطر على

(١) وردت هذه العبارة فى ترجمة بابيت Babbitt ص ٣٥

زمام الأمور كلها . ولكن لما عاد أوزيريس إلى وطنه دبر له توفون مؤامرة غادرة ، فجمع شرذمة من اثنين وسبعين رجلا ليكونوا شركاء له فى الجريمة . وكانت تؤازره ملكة حضرت من اثيوبيا كان المصريون يدعونها «أسو». وقاس توفون جسد أوزيريس خلسة، وصنع له صندوقا فخما جميل الزينة ، وأمر بإحضاره إلى الوليمة . ولما سر الضيفان جميعهم لمنظر هذا الصندوق ، وأعجبوا به وعد توفون مازحا بأنه سيجعل منه هدية لمن يجد الصندوق مناسبا لجسمه ، يملؤه تماما وهو يمتد فيه . فجربه الضيفان جميعا الواحد تلو الآخر . ولما لم يطابق أحداً منهم نزل أوزيريس به ، وامتد فيه . فأهرع إليه المتآمرون . ووضعوا الغطاء عليه ، وأغلقوه من الخارج بمسامير ، وصبوا عليه قصديرا مصهورا ، وبعد ذلك حملوا الصندوق إلى النهر ، ودفعوا به فى الفرع «الثانى» إلى البحر. ومن أجل هذا ما زال المصريون حتى اليوم يكرهون هذا الفرع ، ويعدونه بغيضا لعينا . ويقولون : حدث هذا فى السابع عشر من شهر هاتور (١٣ من نوفمبر) عندما تدخل الشمس برج العقرب ، وكان ذلك فى العام الثامن والعشرين من حكم أوزيريس ، ولكن بعضهم يزعم أنه عاش هذه السنين ، ولم يتول الحكم فيها .

١٤ — ولما كان پان ، وجماعة الساتوروى الذين كانوا يقطنون فى المنطقة المحيطة بخمّيس أول من علم بهذا الحادث ، ونشر النبأ على

الملأ لذلك ما زال هلع الناس وذعرهم المفاجىء يسمى حتى اليوم باسم «بان» [1] . ولما بلغ الخبر إيزيس نزعت على الفور إحدى غدائرها ، وارتدت ثياب الحداد فى ذلك المكان الذى تقوم فيه حتى اليوم مدينة كوپتو (قفط) . ولفظة «كوپتو» معناها فى رأى بعض الكتاب «الحرمان» لأن «يحرم» معناها باليونانية «koptein» (كوپتين) وأخذت الإلهة تجول فى كل مكان ، وقد استبد بها الألم ، وما اقتربت من أحد حتى خاطبته ، وأخيرا صادفت جماعة من الأطفال ، فسألتهم عن الصندوق . وتصادف أنهم رأوه ، فأخبروها عن الفرع الذى دفع فيه رفاق توفون بالصندوق إلى البحر . ومن أجل هذا يعتقد المصريون أن للأطفال مقدرة على العِرَافة ، ويحاولون أن يتكهنوا بالمستقبل من الفؤول التى يسمعونها فى كلامهم وبخاصة عندما يلعبون فى الهياكل ، ويصيحون بما يرد فى خواطرهم .

ويقولون أيضا : إن إيزيس لما علمت أن أوزيريس قد (دخل) بأختها نيفثوس خطأ ، واعتقد أنها إيزيس نفسها ، ولما رأت إيزيس «إكليل الملك» الذى تركه عند نيفثوس أخذت تبحث عن الطفل الذى وُلد من هذا (الاتصال) ، إذ هجرته أمه بمجرد أن ولدته خوفا من توفون . فلما وجدته إيزيس بعد لأى شديد ، وجهد جهيد ،

(١) فكلمة panic فى الانجليزية معناها Sudden and infectious fright والفرنسية panique والالمانية Panik مشتقة من اسم بان Pan

وقد كانت الكلاب ترشدها (فى بحثها) ، ربته ، وأصبح حارسها ، ورفيقها ، وسمته انوبس . وقال : إنه كان يحرس الآلهة كما تحرس الكلاب البشر .

١٥ — ثم علمت إيزيس أن الصندوق قد ألقت به الأمواج على الشاطىء بجوار بوبلوس ، ثم دفعت به فى رفق عند شجرة أثل . ونمت هذه فى زمن وجيز نموا رائعا ، وعظيما للغاية ، وأحاطت بالصندوق ، ونمت حوله ، و (بذلك) حجبته فى جذعها . وأعجب الملك بضخامة الشجرة ، وقطع الجزع الذى يكتنف الصندوق بعيداً عن الأبصار ، وجعل منه عمودا يَدعم سقف داره .

ويقولون : إن إيزيس علمت هذه الأمور بوحى من الشائعات المقدسة . فذهبت إلى بوبلوس ، وجلست آسية باكية عند عين ماء ، ولم تكلم أحدا إلا وصيفات الملكة ، فقد لاقتهن لقاء حسنا جميلا ، ورجلت لهن شعورهن ، وطيبت أجسادهن بطيب عجيب ينبعث منها . فلما رأت الملكة حال وصيفاتها تاقت إلى معرفة تلك الإنسانة الغريبة التى كان شعرها ، وجسمها يتضوعان عنبرا . فاستدعتها الملكة ، وأنزلتها مُنزلا حسنا ، وجعلتها مربية لطفلها . ويقولون : وكان ملك هذه البلاد يسمى مَلكا ندروس ، وكانت الملكة تسمى فى إحدى الروايات استراتا ، وسأوسس فى رواية أخرى ، ونمانوس فى رواية ثالثة ، وكانت تسمى عند الاغريق أثينايس .

١٦ — ويحكون أن إيزيس كانت ترضع الطفل بوضع إصبعها فى فمه بدلا من ثديها . وكانت تحرق فى الليل أجزاء جسده الفانية بينما صارت هى ذاتها يمامة أخذت تحوم حول العمود ناحبة نادبة إلى أن لاحظت الملكة ذلك ، فصرخت صرخة مدوية ، إذ رأت طفلها فى النار ، وبذلك سلبته الخلود بمسلكها هذا . حينئذ أماطت الإلهة اللثام عن شخصها ، وطلبت العمود الذى يدعم السقف . ونزعت جزع الشجرة بدون أدنى مشقة ؛ وقطعته ولفته فى ثوب من التيل ، وصبت عليه طيبا ، ثم أودعته رعاية الملك ، والملكة . وما زال أهل بوبلوس حتى يومنا هذا يبجلون ذلك الخشب الذى أودع معبد إيزيس . ثم ارتمت على التابوت ، وصرخت صراخا عاليا حادا أودى بحياة ابن الملك الأصغر فى الحال . أما الابن الأكبر فقد أخذته معها ، ووضعت التابوت فى زورق ، وغادرت البلاد . ولما بعث نهر فايدروس فجر ذلك اليوم بريح صرصر عاتية حنقت الإلهة (لذلك) ، وجففت مجراه .

١٧ — وما إن بلغت مكاناً منعزلا ، واختلت بنفسها وحدها حتى فتحت التابوت ، وجعلت محياها على محيا الجثمان ، وقبّلته ، وأجهشت بالبكاء . وبينما كان الطفل يسير خلفها فى هدوء لاحظ ذلك . فأحست الإلهة به ، والتفتت إليه وحدَجَته بنظرة غضب مروعة ؛ فلم يحتمل الطفل هذا الهلع ، وقضى . ولكن

بعضهم الآخر ينكر تلك الرواية ، ويؤكد أنه انقلب فى اليم على النحو سالف الذكر (الفصل الثامن) . ولكنه نال شرفاً عظيماً بفضل الإلهة ، لأنه هو نفسه ، على ما يقال ، مانروس الذى يتغنى المصريون به فى ولائمهم . غير أن بعضهم يقول : إن اسمه پالستينوس أو پيلوسيوس ، وأن تلك البلدة التى أسستها الإلهة (پيلوسيُم) سميت باسمه . ويحكى أيضاً أن مانروس موضع أغانيهم كان أول من ابتدع الموسيقى . ولكن بعضهم الآخر يقول : إن هذا اللفظ ليس اسماً لأحد بل هو مصطلح يردده القوم فى أحفال الشكر ، والأعياد ، ومعناه : « ليت هذه الحال السعيدة تدوم لنا » . ذلك ما كان المصريون يعنونه دائماً بكلمة مانروس ، كلما نطقوا بها . وعلى هذا النحو كانوا يطوفون بتمثال ميت يجعلونه فى صندوق ، ويعرضونه على المدعوين لا ليكون فى ذلك ذكرى لمصير أوزيريس — كما يزعم كثيرون — بل ليحضوهم على اغتنام الحاضر ، والاستمتاع به ، إذ سرعان ما يغدو الناس جميعاً على تلك الحال (كتمثال الميت) ، ومن ذلك جاءوا بهذا الشىء البغيض إلى مجلس السمار .

١٨ — ولما ذهبت إيزيس إلى ابنها هورس الذى كان يربى فى بوتو ، ووضعت الصندوق فى مكان قصى ، عثر توفون عليه إذ كان يصيد ليلا فى ضوء القمر ، وتعرف الجثة ، ومزقها أربع

عشرة قطعة بعثرها فى كل حدب وصوب ، إلا أن إيزيس علمت ذلك ، فأخذت تبحث عن الأشلاء ، وهى تُجرى زورقاً من البردى فى المستنقعات . لهذا السبب لا تصيب التماسيح ركاب هذه الزوارق بأى أذى أو سوء : إما لأنها تخاف ، أو لأنها تبجل هذه الإلهة . ومن أجل ذلك يُقال : إن ثمت أضرحة كثيرة لأوزيريس بمصر ، لأن إيزيس كانت تبنى ضريحاً حيثما عثرت على جزء من أشلائه . وينكر بعض الكتاب هذه الرواية القائلة بأن إيزيس صنعت لأشلائه صوراً ، وأهدتها إلى مختلف البلدان كأنها أعطتها الجثمان (الحقيقى) حتى يصيب تكريماً أعظم ، وحتى ييأس توفون ، إذا ما انتصر على هورس ، من العثور على ضريح « أوزيريس » الحقيقى ، وذلك عند ما يذكرون كثيراً من الأضرحة ، ويدلونه عليها .

ولقد عثرت إيزيس على كل أعضاء أوزيريس إلا عضو التذكير فلم تجده إذ ألقى به على الفور فى النهر ، فأكله السمك اللبيس ، والمرجان ، والكراكى ، ذلك السمك الذى يصدف المصريون أشد الصدف عن أكله ؛ ولكن إيزيس صنعت نسخة (منه) مكانه ، وقدست (هذا العضو) الذى ما زال المصريون حتى اليوم يقيمون له عيداً .

١٩ — ثم عاد أوزيريس من العالم الآخر إلى هورُس ، وأعده

للقتال ودرّبه . ثم سأله عن أجمل الأشياء قاطبة . فلما أجاب هورس : أن ينتقم المرء لأبيه وأمه إذا أساء إليهما أحد ، سأله أوزيريس مرة ثانية عن الحيوان الذى يعده أجدى لمن يخوض غمار الحرب . فلما قال هورس « الحصان » دهش أوزيريس لهذا ، وسأله : لِمَ لم تذكر السبع ، وذكرت الحصان ؟ فقال هورُس : إنما يفيد السبع أولئك الذين هم فى حاجة إلى النجدة ، بينما يفيد الحصان فى تشتيت العدو الهارب ، وقطع دابره . فلما سمع أوزيريس ذلك سر سروراً عظيما إذ أصبح هورس ذا إعداد كافٍ . ويقال كذلك : إن ثويرس ، سرية توفون ، لما أخذ كثير من المصريين ينضمون إلى هورس ، انضمت هى إليه أيضاً ، وإن ثعباناً كان يتعقّبها ، فمزّقه أنصار هورُس إرباً ؛ ومن أجل ذلك ما زال القوم حتى اليوم يلقون حبلا وسطهم ، ويقطعونه إرباً .

ثم نشب القتال أياماً عدة كان النصر فيها حليف هورُس . وقد تسلمت إيزيس توفون المصفّد بالأغلال ، ولكنها لم تقتله ، بل فكت إساره ، وأطلقت سراحه . فأحفظ هذا هورس ، ورفع يده على أمه ، وأطاح بالتاج الملكى من فوق رأسها بيد أن هرميس وضع مكانه على رأسها قلنسوة فى شكل رأس البقرة . ولما اتهم توفون هورس علانية بأنه ولد منبوذ قضى الآلهة ، والفضل فى ذلك لهرميس ، بأن هورس ولد شرعى . ثم هُزم توفون فى وقعتين

أخريين . وقد نكح أوزيريس إيزيس عقب وفاته ، فأنجبت منه هاربوكراتيس قبل الميعاد ، فولد ضعيف الساقين .

٢٠ — تلك هى تقريباً الموضوعات الهامة فى الأسطورة بعد أن حذفتُ منها أبغض الحوادث كتخبيل بدن هورُس ، وبتر رأس إيزيس ... وثمت مسألة ليست بى حاجة إلى أن أذكرها لك : إذا ارتأى الناس مثل هذه الآراء ، وحكوا مثل هذه الحكايات عن طبيعة المباركين المخلدين (وبناء عليها نصوغ فكرتنا عن الألوهية) كأن هذه الفعال ، والأحداث حدثت فعلا

« كانت الحاجة ماسة إلى البصق ، ثم تطهير الفم بعد ذلك »

كما يقول أيسخولوس . ولكنكِ فى الحق تبغضين أولئك الذين يرتأون فى الآلهة مثل هذه الآراء الشاذة ، والغريبة . وسوف تدركين أنت نفسك أن ليس ثمت شبه ألبته بين هذه القصص ، وغيرها من الروايات المفككة ، والرقع الجوفاء التى ينسجها الشعراء ، وكتاب النثر من ذواتهم نسج العناكب ، الذين ينسجون أفكاراً فطيرة[1] فجة ، وينشرونها ، وسوف تدركين أن هذه تحتوى سرداً لحوادث ، وتجارب معينة تحيّر الألباب . وكما أن قوس قزح — حسب رواية الرياضيين — انعكاس للشمس ، وأن عديد ألوانه مرده أننا نحسر بصرنا من الشمس ، ونثبّته على السحاب ، كذلك لا تكون تلك

(١) الرأى الفطير — هو الذى لم ينعم النظر فيه ولم يجد . الإفصاح ، ص ٨٨

الروايات الخيالية التى قصصت هنا سوى انعكاسات لقصة حقيقية ترد أفكارنا إلى أمور أخرى ، وتشير أضاحيهم إلى ذلك فى وضوح إذ تعكس الأسى ، والحزن ؛ وإلى ذلك يشير تصميم معابدهم ، فتخرج من بعض أجزائها أجنحة ، وأبهاء مَجهية(١) ، منكشفة ، وتحتوى فى أجزائها الأخرى على حجرات سرّية للملابس تضرب فى الدياجير تحت الأرض ، وتشبه الخلوات أو المزارات ؛ ولا يقل أهمية عن ذلك رأى يرتئيه القوم فى محاريب أوزيريس الذى يقال عنه إن جسده مدفون فى جهات شتى كثيرة . فيقولون . إن ديوخيتيس اسم بلدة صغيرة يطلقونه عليها لأنها تحتوى وحدها على ضريحه الحقيقى ، وإن أثرى الناس وأوسعهم نفوذا من بين المصريين يدفنون عادة فى أبودوس . إذ أن محط آمالهم أن يدفنوا بتلك الأرض التى تضم رفات أوزيريس ، ولكنهم يقولون : إن (العجل) آپس يربى فى ممفيس ، وإنه صورة لروح أوزيريس ، وإن جثمانه يرقد فى هذه المدينة . ويفسر بعضهم اسمها بمُرسى الصالحين» ويسميها البعض الآخر ، وهو على حق « ضريح أوزيريس » . ويقولون أيضاً : إن الجزيرة القريبة من فيلاى محرم على الإنسان بتاتاً أن يطأها ، أو يقترب منها ، ولن تحط الطير عليها أبداً ، ولن يدنو السمك منها ، ولكن

(١) بيت أجهي ومجهي — لا سقف عليه ولا ستر . هجي البيت هجيا وجهي انكشف واجهيته كشفته . الإفصاح ، ص ٢٦٣

الكهان يعبرون (النهر) إليها فى آونة خاصة ليقرّبوا القربان ، ويضعوا الأكاليل على ضريح (أوزيريس) الذى تظلله شجرة بزّت فى طولها طول أى شجرة زيتون .

٢١ — ويقول يود كسوس : ومع أن القوم يذكرون أضرحة عديدة (لأوزيريس) فى مصر إلا أن جثمانه راقد فى بوزيريس ، لأن هذه المدينة مسقط رأسه ؛ وليست بنا ، مع ذلك ، حاجة إلى شرح تافوسيريس ، إذ أن هذا الاسم ذاته يعنى « ضريح أوزيريس » ؛ وسأمرّ مرّ الكرام على عادات كسر الخشب (هناك) ، وتمزيق التيل ، وسكب سائل القربان ، لأن كثيراً من هذه (العادات) تتعلق بالتعاليم السرية . ويقول الكهان مع ذلك : إن أجساد هؤلاء ، وأجساد باقى الآلهة أيضاً ، الذين لا يولدون ، ولا يفنون ، ترقد عندهم ، ويمجدونها ؛ و (يقولون) : إن أرواحهم تتألق ، مع ذلك ، فى النجوم بالجوزاء . ويسمى الإغريق روح إيزيس « كاب الجبار » ، ويسميه المصريون سوثس ، وأوريون هو روح هورُس ، والدب الأكبر روح توفون . ويقولون : إن باقى (المصريين) يشتركون فى تكاليف جنازة الحيوان المقدس المتفق عليها ، اللهم إلا أهل إقليم طيبه ، فلا يُسهمون بشىء فيها ؛ لأنهم لا يؤمنون بأن أى فانٍ(١) يكون معبوداً ، بل يؤمنون بالإله كنيف الذى لا يولد ، ولا يفنى .

(١) مثل أوزيريس ، وإيزيس ، وهورس ، وسيث .

٢٢ — ولما كان الفرس يحكون كثيراً من أمثال هذه الأمور (عن أعمال الآلهة، ومآسيهم، ومماتهم) ويلمعون إليها، فإن البعض يعتقدون أن المقصود بهذه الأمور أعمال الملوك، والطغاة الذين انتحلوا لأنفسهم مظهر الآلهة من أجل فضائلهم، أو سلطانهم، أو علو قدرهم، ثم استسلموا بعد ذلك لمشيئة القدر، ولم يبق لهم سوى ذكرى أعمالهم المفيدة الهائلة. وبهذا يجردون (هذه القصة) من مغزاها (الحقيقى)، وينجحون إلى حد ما فى أن يزيلوا عن الآلهة كل ما هو شائن، ويلقون به على البشر، يجدون لهم فى ذلك سنداً أكيداً فى الأقاصيص، والروايات: فيروى المصريون أن هرميس كان ذا مرفقين مقوستين، وأن توفون كان أمغر البشرة، وأن هورس كان أنصعها، وأن أوزيريس كان أدكنها، كما لو كانوا فى طبيعتهم من فُناة البشر. وكذلك يدعون أوزيريس القائد، وكانوبس الربان الذى تسمى باسمه الصورة النجمية، وكذلك السفينة التى يسميها الإغريق آرجو، وهى فى شكلها شبيهة بسفينة أوزيريس جُعلت له بين الصور النجمية، وتجرى غير بعيدة عن مجرى الجبار (أى أوريون)، و «كاب الجبار» وهما صورتان سماويتان يعد المصريون إحداهما مقدسة لهورُس، والأخرى لإيزيس.

٢٣ — ولكننى أخشى أن أحرّك ما لا ينبغى أن يحرّك، وأن

أعلن حربا» — كما يقول سيمونيديس — «لا على أجيال متعاقبة»، بل على أجناس عديدة من البشر، تكن شعورا بالورع، والتقوى لهؤلاء الآلهة، وأخشى ما أخشاه أن ننزل مثل هذه الأسماء العظيمة من السماء إلى الأرض، وأن نزيل، ونفسد إيمانا عميقا غُرس فى نفوس الناس أجمعين تقريبا ساعة ولادتهم، وأن نفتح الأبواب على مصاريعها لجمهور الملحدين، وأن نهوى بالمقدسات إلى مستوى البشر وأن نبيح فى يسر تام تُرهات يوأميروس المسينى، فقد ألف هذا الرجل كتبا فى أساطير مضللة، لا وجود لها فى الواقع، ونشر بذلك الإلحاد فى كل زمان بجميع أنحاء المعمورة إذ مسخ جميع الآلهة الذين نؤمن بهم، واستبدل بأسمائهم جميعاً ألقاب قواد وأمراء بحار وملوك يزعم أنهم عاشوا فى غابر الزمان، ودونت أخبارهم بحروف من ذهب فى جزيرة پنخن. ولم يحدث أن رآها بربرى (أى أجنبى)، أو يونانى اللهم إلا يوأميروس وحده الذى قام فيما يبدو برحلة بحرية إلى البنخويين والترفولين الذين لم يعيشوا فى العالم قط، ولا يعيشون.

٢٤ — ومع ذلك فإن الأشوريين يمجدون الأعمال العظيمة (للملكة) سميرامس، والمصريين يشيدون بمآثر سسوستريس. ويدعو الفريجيون حتى اليوم الأعمال الباهرة العجيبة أعمالا مانيسية لأن مانيس، أحد ملوكهم الأوائل، والذى كان يسميه البعض «ماسديس» كان رجلا شهما جسورا. وقاد كورس (قورش)

الفرس ، والكساندروس (الاسكندر) المقدونيين من نصر إلى نصر حتى كادا يبلغان أطراف الأرض ، ومع ذلك فإنهما لم يشتهرا إلا كملكين كريمين ، « ولكن إذا كان هناك قوم – كما يقول أفلاطون – قد اضطرموا بنار الزهو ، وتلطخت نفوسهم بالكبر » ، واضفوا على أنفسهم ألقاب الآلهة ، وأمروا بتشييد الهياكل لهم ، فلن يزدهر مجدهم سوى زمن قصير ، ثم يوصفون بالكذب والاحتيال :

« طاروا سراعا ، يجرفهم مصيرهم ، كدخان يتصاعد فى عنان السماء »

وتراهم اليوم بعد أن طردوا من هياكلهم ، وموائد قربانهم ، كأنهم هاربون مغلوبون لايمتلكون سوى شواهد وقبور . ومن أجل ذلك كان انتيجونوس الأكبر يقول عندما قرظه شخص يدعى هيرمودوتوس فى إحدى قصائده ، ووصفه بأنه إله ، ابن إله الشمس . . كان يقول : « إن العبد المنوط به مِبولتى لايعرف شيئا من هذا ! » وكذلك كان المثال لوسيبوس على حق عندما اعترض على المصور أپليس الذى صور الاسكندر ، ووضع فى يده صاعقة ، بينما صوره هو نفسه ، ووضع فى يده رمحا . فهذا مجده الحقيقى الذى لن يمحوه الزمان .

٢٥ – وخير « من هذا » رأى أولئك الذين لايعدون مايحكى عن توفون ، وأوزيريس ، وإيزيس من مصير الآلهة والبشر ، بل

هو من مصير الجن . ويبين أفلاطون وفيثاغورس ، وكسنوكراتيس وخروسيپوس الذين نسجوا على منوال علماء اللاهوت الأوائل أن الجن أقوى من البشر ، وأنهم بقوتهم العظيمة يفوقون طبيعتنا إلى حد بعيد ، ولكن العنصر الإلهى نقيا غير مخلوط لايدخل فى تركيبهم ، بل إنهم يجمعون بين طبيعة الروح المعنوية ، وقدرات الجسد الحسية ، وهم يشعرون باللذة والألم ، وتعتريهم جميع الانفعالات التى تحدث نتيجة لهاتين الحالين المتغيرتين ، وتؤثر هذه الانفعالات فيهم تأثيرا يختلف باختلاف الجن الذين يتعرضون لها . فالجن كالبشر على درجات متفاوتة من الفضيلة ، والرذيلة . ففى الحق لاتختلف أعمال المردة ، والتيتانيس المجيدة التى يشيد بذكرها الاغريق ، وأعمال كرونوس المستبدة ، واستماتة پوثون فى مصارعة أپوللون ، وفرار ديونوسوس ، وجولان ديميتر . . لايختلف كل هذا فى شىء عن أعمال أوزيريس ، وتوفون ، أوسائر الأساطير التى يود الإنسان سماعها ، ويمكن قول ذلك تماما عن كل ما هو مشمول برداء من الشعائر ، والأحفال السرية ، وكل مالايدركه عامة الناس ، وكل مالايرونه .

٣٦ – ونسمع هوميروس أيضا يصف الخيرين بأنهم « أشباه الآلهة » ، و« أنداد الآلهة » ، ويسميهم « الذين وهبهم الآلهة حكمة من

عندهم »، ولكنه يطلق الصفة المشتقة من الجن (أى جِنى) على الصالح والطالح على حد سواء . فيقول مثلا :

« تعال ، ياجنى ، تعال . لِمَ تخيف الارجيين كل هذا الخوف؟ »

ويقول أيضاً :

« ولما هاجمه للمرة الرابعة اندفع نحوه كالجن »

وفى (موضع آخر) :

« أيتها الجنية أى شر ماحق أنزله بك برياموس ، وأبناؤه
حتى تتوق نفسك بلاهوادة
إلى تدمير طروادة الجميلة ؟ »

وذلك لأن الجن ذوو طبيعة ، وإرادة مشوبتين غير متزنتين .

لذلك ينسب أفلاطون إلى الآلهة الأولومبية صفات يمينية ، وإعدادا فردية ، وإلى الجن اضدادهما بينما يعتقد كسنوكراتيس أن الأيام النحس ، والأعياد التى يحدث بها جَلد ، أو لطم على الصدور ، أوصوم ، أو قول ناب ، وفاحش أيام ، وأعياد لاتناسب تكريم الآلهة أوالجن (الطيبين) ولكن توجد بالفراغ (الذى حولنا) طبائع شديدة وقوية . بيد أنها فى الوقت نفسه خبيثة كئيبة تبتهج لأمثال هذه الأشياء ، وإذا ماتحققت لها فإنها لاتلجأ إلى ما هو شر منها . ثم يسمى هيسيودوس الجن النافعين الطيبين « الجن المقدسين الطاهرين » ، و « حراس البشر » ...

و « المكثرين[1] ، ولهم فى ذلك شرف ملكى » .

ويدعو أفلاطون هذه الفئة « التراجمة ، والوسطاء بين الآلهة ، والبشر لأنها تحمل ضراعات البشر ، وتوسلاتهم إلى السماء ، ثم تأتى منها بالردود الإلهيــة والهبات إلى الأرض » . وأخيراً يقول امبدوكليس : يجب أن يعاقب الجن على مايرتكبون من أخطاء ، وآثام ، فيقول :

« إن قوة الهواء تطاردهم إلى البحر المحيط
ثم يلفظهم البحر المحيط على الساحل ، ثم تبعثهم الأرض
إلى أشعة الشمس المستمرة ، فترسلهم إلى أعاصير الهواء :
وهكذا يتلقفها أحدهم من الآخر ، وكلهم كاره » .

حتى إذا تأدبوا استعادوا ثانية هذا المكان ، وذلك المقام اللذين خصصتهما الطبيعة لهم .

٢٧ — ويقال : إن الأقاصيص التى من هــذا القبيل ، وغيرها تروى عن توفون ؛ فيحكى أنه أتى بالموجبة[2] بدافع من غيرته ،

(١) المكثرة الغنى — أو الكثرة . والتكثير — كثرت الشىء جعلتــه كثيرا ، وأكثرت ياهذا أتيت بكثير . الافصاح ص ٧٣٤

(٢) الموجبة — الكبيرة من الذنوب التى يستوجب بها العذاب وقد أوجب الرجل اتى بها . الافصاح ص ١٢٠

وخبثه ، وأنه بعث بالفوضى فى كل شىء ، وملأ الأرض جميعا ، والبحر المحيط بالشرور ، ثم جوزى على ذلك جزاء وفاقا . وبعد أن أخمدت أخت أوزيريس، وزوجه جنون توفون ، وقضت على خبله انتقاما لأوزيريس لم تنس الصراع والنضال اللذين تحملتهما ، ولم ترغب فى أن يظل جولانها ، وأعمالها العديدة السديدة الباسلة نسيا منسيا ، أوطى الكتمان ، بل بينما مزجت صورا ، وإشارات ونسخا من أحداث ذلك الوقت بالشعائر الدينية ضربت درسا دينيا فى التقوى ، وكذلك مثلا فى العزاء للرجال ، والنساء الذين وقعوا فى مثل هذا الشقاء . وقد صارت هى ، وأوزيريس إلهين من أجل فضائلهما بعد إذ كانا جنين خيرين ، كما حدث لهيراكليس وديونوسوس فيما بعد . ومن أجل ذلك حق لهما أن يتمتعا بتكريم مزدوج ؛ فيكرمان إلهين ، ويكرمان جنين فى الوقت ذاته ، وينشران سلطانهما فى كل مكان ، وخاصة فى العالم الآخر ، ولذا يقال : إن سرابس ما هو إلا بلوتون ، وإن إيزيس هى پرسيفونا ، وذلك وفقا لرواية ارخيماخوس اليوبى ، وهيراكليديس البنتى اللذين يعتقدان أن وحى كانوبس هو وحى الإله بلوتون .

٢٨ — رأى بطلميوس سوتير (أى المنقذ) فى حلم تمثالا عظيما أقيم فى سنوپا للإله پلوتون ، وكان يجهل شكله ، لأنه لم يره قبل ذلك قط . فأمره التمثال بأن ينقله على وجه السرعة إلى الاسكندرية .

وكان حينئذ خالى الذهن ، ويجهل أمره ، لايعرف أين كان يوجد هذا التمثال . ولكنه عندما قص رؤياه على خِلانه اهتدوا له على شخص رحالة اسمه سوسيبيوس ، أكد أنه رأى فى سنوپا مثل هذا التمثال العظيم الذى قال الملك إنه رآه . لذلك بعث بطلميوس سوتيليس ، وديونوسوس إلى « سنوپا » . فوفق هذان الرجلان بعد زمن طويل ، وجهد جهيد — وفقا بعون إلهى إلى أن يسرقا التمثال (من معبده) وينقلاه . فلما وصل (التمثال إلى الإسكندرية) ، استنتج تميثيوس ، ومانثون ، وأتباعهما أنه تمثال پلوتون .. استنتجوا هذا من وجود كربيروس ، والتنين الذى بجانبه[1] ، وأقنعوا بطلميوس بأنه ليس إلا تمثال الإله سرابس . إنه فى الواقع لم يحمل هذا الاسم عندما نقل من هناك « من سنوپا » ، بل سمى بعد نقله إلى الإسكندرية « سرابس » وهو اسم پلوتون عند المصريين . فإذا قال هراكليتوس الفيلسوف الطبعى : «إن هاديس، وديونوسوس إله واحد يهذون، ويحتفلون من أجله بعيد عصر الكروم » استنتج الإنسان هذا الرأى أيضا . فإن من يعتقد بأن (هاديس) يعنى « جسد الروح » لأن الروح تكون فيه غير عاقلة . وسكرى . فما يأتى إلا بكناية ركيكة ضعيفة . ويحسن التوحيد بين أوزيريس ، وديونوسوس ، وبين

(١) كلب وحشي بثلاثة رءوس كان يحرس مدخل العالم السفلي أومملكة بلوتون ، ولذا سمي « كلب هاديس » . كان يمنع الأحياء دخول هذا العالم ، والأموات الفرار منه .

سراپس ، وأوزيريس الذى حمل هذا الاسم عندما غير من طبيعته . لذلك كان سراپس أيضا إلها مشتركا عند كافة الشعوب ، وهذا ما يعرفه أصحاب اللقانة عن أوزيريس .

٢٩ — ولا يجدر بالمرء أن يأبه للكتابات الفريجية التى يقال فيها : إن سراپس كان ابنا لهيراكليس ، وإن إيزيس كانت أخته ، وإن توفون كان ابنا لألكايوس بن هيراكليس ؛ ويجدر بالإنسان ألا يحفل أيضاً لكلام فولارخوس الذى كتب عن ديونوسوس أنه أول من جلب من الهند عجلين إلى مصر ، أحدهما يسمى آبس ، والآخر أوزيريس ، ولكن سرابس اسم من ينظم الكون ، إذ أن اسمه مشتق من فعل « سايرين (sairein) ومعناه فى رأى البعض « يزين » و « ينظم » . وعلى ذلك يكون رأى فولارخوس سخيفا ، وأسخف منه رأى الذين يقولون : ليس سراپس إلها ألبتة ، بل إن هذا اسم يسمى به تابوت آپس . وإن فى ممفيس بوابات معينة من البرونز تسمى بوابات النسيان والعويل تفتح عند دفن آپس ، فتحدث رنينا عنيفا كئيبا ، ومن أجل هذا نضع أيدينا على كل إناء من البرونز يحدث رنينا [١] . وأكثر اعتدالا رأى أولئك الذين يقولون بأن الاسم مشتق من الفعلين (seuesthai) « يندفع » و (sousthai) « يتحرك » للدلالة على حركة الكون كله .

(١) انظر هيفنر ، المجلد الثانى ، ص ١٤

ويقول معظم الكهان ، إن (اسمى) أوزيريس ، وسرابس مدغمان فى (اسم) واحد ؛ ويفسرون ذلك بأن المرء يجب أن يعلم أن آبس صورة مجسمة لروح أوزيريس . ولكنى أرى أن اسم سرابس ، إذا كان مصرياً صميما ، يعنى المرح ، والابتهاج معتمداً فى ذلك على أن المصريين يدعون عيد المسرات « سيراى » (Sairei) وفى الواقع يقول أفلاطون : إن هاديس سمى كذلك لأنه يلطف بأولئك الذين يقيمون عنده . وفوق ذلك عند المصريين أسماء كثيرة أخرى تعنى كلمات حقيقية ، فيطلقون مثلا على ذلك المكان الذى فى أسفل الأرض حيث ترحل الأرواح بعد الموت - كما يعتقدون - لفظة امنثيس ، ومعناها « ذلك الذى يأخذ ويعطى » . أما أن هذا الاسم هو أحد الأسماء التى جاءت مصر من اليونان فى غابر الزمان ، ثم عادت إليه فسألة سنبحثها فيما بعد ؛ إذ ينبغى لنا الآن أن نستمر فى مناقشة بقية الآراء التى بين أيدينا .

٣٠ — صار إذاً أوزيريس ، وإيزيس إلهين بعد أن كانا جنّيّين خيّرين ، أما قوة توفون التى أضعفت ، وسُحقت ، والتى تناضل الفناء ، والفناء يناضلها ، فتارة يحاول المصريون أن يهدئوها ، ويستدروا عطفها بتقديم الضحايا ، وتارة أخرى يذلونها ، ويسبونها فى أحفال معينة ، وذلك بأن يضطهدوا ذوى البشرة الحمراء ، ويدهوروا حماراً من قمة شاهق ، كما يفعل أهل كوپتو (قفط) ،

لأن توفون كان أمغر البشرة فى لون الحمار . ولا ينفخ أهل بوزيريس ، وأهل لوكوپوليس أبواقاً ألبته ، لأنها تحدث صوتاً يشبه نهيق الحمار . ويعتقدون أن الحمار حيوان دنس ، وجِنى لأنه يشبه توفون . وعند ما يصنعون طُلمات[1] ليقربوها فى شهر بؤونة ، وبابه (مايو ، يونيه ، سبتمبر ، اكتوبر) يطبعون عليها شكل حمار مقيد . وعند ما كانوا يقرّبون لهليوس (إله الشمس – رع) يوصون أولئك الذين يعبدون هذا الإله بألا يتحلوا بحلى من الذهب ، وألا يقدموا علفاً لحمار . وواضح أن أتباع فيثاغورس يعدون توفون من الجن ، لأنهم يقولون : إنه ولد فى منتصف العدد الزوجى ستة وخمسين ، وإن المثلث ينتمى إلى هاديس ، وديونوسوس ، وآريس ؛ والمربع إلى ريّا ، وأفروديتا ، وديميتر ، وهستيا ، وهيرا ؛ والشكل ذا الاثنى عشر ضلعاً إلى زيوس ؛ والشكل ذا الستة والخمسين ضلعاً إلى توفون كما يذكر يودكسوس .

٣١ – وكان المصريون يقربون لتوفون العجول المُغر ، لأنهم كانوا يعتقدون أنه أمغر البشرة . ولكنهم كانوا يفحصونها فحصاً دقيقاً جداً ، حتى إنهم إذا وجدوا فى العجل شعرة واحدة سوداء كانت أم بيضاء (أى غير مغراء) عدوه غير صالح للقربان ، فهم لا يرون من المناسب أن يُقرب (لتوفون) ماهو عزيز عند (غيره

(١) الطلمة بالضم الخبزة ... مختار الصحاح ، ص ٣٩٧

من) الآلهة ، بل على الضد كل حيوان تقمص أرواح الكفرة ، والفسقة من البشر الذين صاروا جسوماً أخرى . ولهذا كانوا يصبون اللعنات على رأس الأضحية (المقربة لتوفون) ويبترونه . وقد اعتادوا فى الزمان الخالى أن يلقوا به فى النهر ، أما اليوم فيبيعونه الأجانب . أما العجل المخصص للعتر فيختمه كُهان يسمون « سفراجستاى » (Sphragistai) أى الختّامين بخاتم خاص . وكان خاتمهم فى هذه الحال ، كما يروى كاستور ، يحمل نقشاً لرجل أوثقت يداه خلف ظهره ، وقد خر على ركبتيه ، وطُعن فى حلقه بسكين . ولكنهم يعتقدون أن الحمار – كما قلنا من قبل – يعانى الكثير لما بينه وبين توفون من تشابه ، وذلك بسبب غبائه ، وشهوته ، ولون جلده . ومن أجل هذا لقّبوا أوخوس بالحمار لأنه كان فى نظرهم أبغض ملوك الفرس جميعاً ؛ فما كان منه إلا أن قال : « ولكن هذا الحمار سيبتهج لأكل عجلكم » . ثم ذبح العجل آپس ، كما يروى دينون . أما أولئك الذين يقولون : إن توفون هرب من القتال (ضد هورس) على ظهر حمار سبعة أيام ، وإنه بعد نجاته أنجب ولدين : هما هيروسولوموس ، ويودايوس ، فمن الواضح جداً – كما يظهر من الاسمين – أنهم يدخلون على هذه الأسطورة روايات يهودية .

٣٢ – هذا إذاً تفسير تلك الروايات . ولكننا نود الآن أن

نفحص أولا أبسط آراء أولئك الذين يعتقدون أنهم يفسرون الأمور تفسيراً أكثر تفلسفاً :

فكما أن الإغريق يقولون: إن كرونوس اسم يطلق مجازاً على الزمن (خرونوس) ، وهيرا على الهواء ، وإن هيفايستوس يرمز إلى تحول الهواء إلى نار – كذلك بين المصريين قوم يقولون : إن أوزيريس هو النيل الذى يقترن بالأرض إيزيس ، وتوفون البحر الذى يصب فيه النيل مياهه ، فيتوارى عن الأنظار ، ويتفرق اللهم إلا ذلك الجزء الذى تحتجزه الأرض ، وتمتصه ، فتصبح به خصبة . وهناك أيضاً نُدبة دينية تنشد تمجيداً لخرونوس ، ويؤبّن فيها[1] ذلك الذى يولد فى مناطق الشّمال ، ويهلك فى مناطق اليمين ، لأن المصريين يعتقدون أن المناطق الشرقية وجه العالم ، والشّمالية يمينه ، والجنوبية شماله . ولما كان النيل يجرى من الجنوب ، ويبتلعه اليم فى الشمال ، كان معنى هذا حقاً أنه يولد فى الشمال ، ويفنى فى اليمين . ومن أجل ذلك يتجنب الكهان البحر ، ويسمون الملح : « لعاب توفون » ، ويحرمون وضعه على المائدة . كذلك لا يخاطبون الربابنة ألبته لأنهم يستعملون البحر ، ويتعيشون منه . ولنفس السبب كانوا ينفرون من السمك أيضاً ، ويعبرون عن معنى « الكراهية » برسم سمكة . وفى سايس نُقش على البوابة الخارجية لهيكل أثينا

(١) انظر هيفنر ، المجلد الثانى ، ص ١٧ ، والملاحظة (١) .

طفل ، وشيخ يليهما صقر ، ثم سمكة ، ثم فرس نهر . ومعنى هذا رمزى « أيا من تولدون ، ثم تموتون إن الله يكره القحة » . فالطفل رمز الولادة ، والشيخ رمز الموت ، ويعبر الصقر عن فكرة « الله » والسمكة عن الكراهية من أجل البحر – كما سبق أن ذكرنا – وفرس النهر عن القحة ، إذ يقال : إن هذا الحيوان كان يجامع أمه بالقوة بعد أن يقتل أباه . وكذلك عندما وصف أتباع فيثاغورس البحر « بأنه دمعة كرونوس » فلا شك أنهم كانوا يشيرون إلى طبيعته الدنسة الغريبة . لكن هذا الكلام إذاً مجرد حديث عابر ، لأنه يدور حول موضوعات شائعة معروفة .

٣٣ – غير أن أحكم الكهان لا يسمون النيل أوزيريس ، والبحر توفون فحسب ، بل بكل بساطة يعتبرون أوزيريس المنبع الوحيد ، والقوة الأزلية التى تولد الرطوبة ، وتسبب الخصب ، والتناسل . أما توفون فى رأيهم فيرمز إلى كل ما هو جاف ، ونارى ، وجدب ، وعدو للرطوبة على وجه عام . ولما كانوا يعتقدون أن لون توفون أحمر مصفراً كالنار ، لذلك كانوا لا يتحمسون لملاقاة قوم لهم مثل هــذه البشرة ، ولا يحبون الاختلاط بهم . أما أوزيريس فيرون فى أساطيرهم أنه خمرى ، لأن الماء يصبغ كل شيء من تراب . وملابس ، وسحب بلون

أذكن إذا ما امتزج به ، ولأن وجود الرطوبة بجسوم الشباب يجعل شعرهم أسود بينما يصيب المشيب رءوس من اكتهلوا ، وكأنه شحوب ناجم عن اليبس . والربيع (بسبب الرطوبة) أيضاً مزدهر ومثمر ، ولطيف ، أما الخريف فهو لافتقاره إلى الرطوبة عدو للنبات ، خطر على صحة الكائنات الحية . وكذلك العجل الذى يرعونه فى هليوبوليس ، والذى يسمونه منيوئس[1] (Mneuis) ، والذى يقدسونه لاوزيريس أسود اللون ، ومرتبته من التكريم تلى مرتبة العجل آپس . وكذلك يسمى المصريون بلادهم من أجل سوادها الذى يشبه سواد إنسان العين «خيمياً» (Chemia) ، ويشبهونها بالقلب لانها دافئة ، ورطبة ، وحبيسة فى الجزء الجنوبى من المعمورة ، ومقيمة به كالقلب فى الجانب الأيسر من جسم الإنسان .

٣٤ — ويقولون أيضا: إن الشمس، والقمر لايركبان مركبات (كما هى الحال عندنا نحن الأغريق) ، بل زوارق يبحران بها فى مسالكهما (فى الرطوبة أى فى محيط السماء) ، ويلمعون بذلك إلى غذائهما ، ونشأتهما من الرطوبة . ويعتقدون أيضاً أن هوميروس مثل طاليس أخذ عن المصريين رأيه فى الماء على أنه مصدر لجميع الأشياء وأصلها. فأوكيانوس (اليونانى) هو أوزيريس ، وتيثوس هى إيزيس ،

(١) يرى البعض أن منيوئس كان والداً لآبس . أنظر هبفنر ، المجلد الثانى ، ص ١٨ الملاحظة (١)

لأنها مربية كل شىء ومغذيته . فالإغريق يطلقون على إفراز المنى «ابوسيا» ، وعلى المضاجعة «سونوسيا» ، وعلى الابن «هويوس» ، من الماء (hudor) ومن المطر (husai) ، وكذلك يسمون الاله ديونوسوس هوپس (hues) لأنه رب الطبيعة الرطبة ، وليس هذا الاله سوى أوزيريس . ويظهر أن هيلانيكوس سمع الكهان المصريين يسمون أوزيريس «هوسيريس» (husiris) وهكذا يسميه هو دائماً ، وربما كان ذلك نتيجة لطبيعة الاله ، أو نتيجة لهذا الاكتشاف .

(٣٥) أما أن أوزيريس نفسه هو ديونوسوس (إله الخصب عندنا — نحن الأغريق) فمن يعرف هذا أحسن منك «ياكايا ، يا رئيسة العذارى فى دلفى ؟ لقد جعلك أبوك ، وأمك نذيرة[1] لشعائر اوزيريس المقدسة . فإذا كانت هناك حاجة فى غيرك من الناس (أى من غير أصحاب اللقانة) إلى أن نسوق الأدلة والبراهين فلندع التعاليم السرية ، وشأنها . ولكن مايفعله الكهان علانية عند دفن آپس عندما ينقلون جثمانه فى نعش لايختلف فى شىء عما يحدث فى أعياد باخوس ، إذ يلفون أنفسهم بجلود الريم ، ويحملون صولجانات باخوس ، ويصيحون صيحات مدوية ، ويهتزون

(١) المحررة والنذيرة — الابن أو الابنة يجعله أبواه قيماً وخادماً للكنيسة. الإفصاح ، ص ٧٠١

اهتزاز من أخذتهم الجلالة فى أحفال ديونوسوس الصاخبة .

ومن أجل ذلك أيضا يصور كثير من الإغريق ديونوسوس على شكل عجل ، وتتضرع نساء « إليس » إليه أن يدنو منهن بحافر عجل . ويلقب ديونوسوس عند أهل أرجوس « بابن العجل » . ويستدعونه من المياه بنعير الأبواق بينما يلقون بحمل من المياه العميقة قربانا لحارس البوابة ، ويخفون هذه الأبواق داخل صولجانات باخوس ، كما روى سقراط فى مقال عن « الأحفال المقدسة » . يضاف إلى ذلك أن حكايات التيتانيس ، وأحفال باخوس الليلية تشبه ما يروى عن تخبيل بدن أوزيريس ، وبعثه ، ومولده الجديد . وينطبق ذلك أيضاً على أضرحتهم . فالمصريون — كما ذكرنا آنفا[1] — يشيرون إلى مقابر عدة لأوزيريس ، وأهل دلفى يعتقدون أن رفات ديونوسوس موجود عندهم بالقرب من معبد أپوللون حيث يأتى الأتقياء بقربان سرى ، كلما احتفلت العذارى بميلاد ديونوسوس . ولكن اليونان لا يعدون ديونوسوس إله الخمرة ، وخالقها فحسب ، بل رب كل مادة رطبة ، وخالقها ، ويكفينا دليلا على ذلك قول پنداروس :

---

(١) بالفصلين ١٨ و ٢٠

« ليت ديونوسوس باعث السرور يكثر من ثمار الشجر
ذلك السنى الوهاج لفصل الحصاد »

ومن أجل هذا حرم على كل من يعبد أوزيريس أن يجتث شجرة ناضرة ، أو يردم عين ماء جارية .

(٣٦) والكهان لا يسمون النيل وحده سيل أوزيريس ، بل يطلقون هذه التسمية على كل أنواع الرطوبة أيضا ، لذلك كان إناء الماء يحمل دائماً فى طليعة المواكب الدينية التى كانت تقام تكريما للإله . وفضلا عن ذلك كانوا يصورون الملك ، والجزء الجنوبى من العالم على شكل قصبة ، وترمز هذه القصبة إلى « رى » كل شىء ، « وإخصابه » ....

وعندما يحتفلون بعيد الپاموليا وهو كما قلنا من قبل[1] عيد (الإخصاب) ، يعرضون تمثالا عاريا يطوفون به (يمثل قوة الإخصاب عند هذا الإله) لأن الإله هو الأصل ، وكل أصل يضاعف بقوته الجنسية كل ما يخرج منه . وقد تعودنا أن نعبر عن الكثرة ، والمضاعفة بكلمة « ثلاثا » ، كقولنا : « سعيد ثلاثا »[2] ، وكانت

---

(١) بالفصل ١٢

(٢) هوميروس : الالياذه ٤ و١٥٤

أغلاله عديدة ثلاث مرات ، وكانت لاتحصى ولا تعد[1]» ، مالم يقصد الكتاب الأوائل بعبارة « ثلاث مرات » معناها الحرفى. فلما كانت الرطوبة ـ منذ البداية ـ مصدر كل شىء وأصله فهى أيضا أصل العناصر الثلاثة الأولى : التراب ، والهواء ، والنار . والرواية الملحقة بتلك الأسطورة تقول : إن توفون ألقى بعضو من أعضاء أوزيريس فى النهر ، وإن إيزيس لم تعثر عليه ، وقد صنعت له (تمثالا) يشبهه ، وزينته . ثم أمرت الناس أن يكرموه ، ويحملوه فى المواكب — ومن ذلك نفهم أن قوة الانتاج والتناسل عند الإله اتخذت الرطوبة مادة أولى لها ، وأنها بفضل الرطوبة امتزجت بكل ما هو بطبيعته قابل للتناسل .

وهناك رواية أخرى عند المصريين تقول بأن أبوپس أخا هليوس (اله الشمس — رع) أعلن الحرب على زيوس (آمون) فوقف أوزيريس إلى جانب زيوس ، وساعده فى قهر العدو . ولذلك اتخذه زيوس ابناً له ، وسماه ديونوسوس . والآن يستطيع المرء أن يبين أن المعنى الأسطورى لهذه الرواية قريب من الحقيقة الطبيعية (أى إلى شىء طبعى « فيزيكى ») ؛ فالمصريون يطلقون اسم زيوس (أمون) على النسيم (البليل ، أى الذى به برد ، وندى)

(١) المرجع ذاته ٧ ، ٣٤٠ .

الذى يعاديه كل ما هو جاف ، ونارى ، وليس هذا فى الحقيقة الشمس (نفسها) (أى ليس هذا رع نفسه) ، ولكن بينه (بوصفه أبوپس) ، وبين الشمس علاقة معينة ، بينما الرطوبة (أى أوزيريس) بتخفيفها من حدة الجفاف تزيد الأبخرة وتقويها ، وبهذه الأبخرة يتغذى النسيم (pneuma — زيوس — أمون) ، وينشط .

٣٧ — وفضلا عن هذا فالإغريق يقدسون اللبلاب ، ويهبونه لديونوسوس ، ويسمى عند المصريين خنوسيريس (chenosiris) ، وهى كلمة يقال : إن معناها « نبات أوزيريس » وقد عثر أريستون الذى كتب عن الاستعمار الأثينى على أحد خطابات الكسارخوس ، ورد فيه أن ديونوسوس هو ابن زيوس (أمون — رع) ، وإيزيس ، وأن المصريين لم يسموه أوزيريس ، بل أرسافيس ، وهى لفظة معناها الرجولة . وهرمايوس أيضاً يذكر هذا فى المجلد الأول من سفره عن [أعياد] [1] المصريين ، فيقول إن تفسير اسم أوزيريس هو : « الفتىّ » . وإنى أغض الطرف عن مناسياس الذى يوحد ما بين ديونوسوس ، وأوزيريس ، وسراپس ، وبين إپافوس ، وأغض الطرف أيضاً عن انتكليديس الذى يقول : إن إيزيس كانت ابنة لپروميثيوس ، وإنها تزوجت ديونوسوس . فالخصائص التى ذكرناها آنفاً عن أحفالهم ، والأضاحى التى تقرب

(١) انظر هيفنر ، المجلد الثانى ، ص ٢٠

لهم أكثر إقناعاً ، وأشد وضوحاً من أى دليل آخر .

٣٨ — ومن بين النجوم يعتقد المصريون أن سيريوس (كلب الجبار) هو نجم إيزيس ، لأنه يجلب الماء (أى ماء الفيضان) ، ويكرمون أيضاً الأسد (أى برج الأسد) ، ويزينون أبواب الهياكل بخطم الأسد لأن النيل يفيض :

« عند ما تقترب الشمس من برج الأسد » .

وكما أنهم يعدون النيل سيل أوزيريس كذلك يعدون الأرض جسم إيزيس ، وليست الأرض كلها ، بل ما يغمره النيل منها فقط ، فيختلط بها ، ويعلوها . ومن هذه المعاشرة ينجبان هورس . ولكن هورس هذا هو هورا (Hora) (أى الوقت) الذى يصون كل شىء ويغذيه ، وهو الهواء المركب المحيط بالأرض . ويقولون أيضا عنه : إن ليتو ربّته فى المستنقعات المحيطة بيوتو . فالأرض المستنقعة المبتلة أحسن غذاء لتلك الأبخرة التى تنقع الجدبَ ، والجفافَ (أى توفون) ، وتسكنهما . ولكنهم يطلقون اسم نيفثوس على الأرض النائية التى تجاور الجبال ، وتشرف على البحر (توفون) . وبذلك كلما فاض النيل ، وارتفع ، وبلغ تلك الأصقاع البعيدة دعوا ذلك اختلاط أوزيريس بنيفثوس الذى يستدل عليه من نمو النبات . ومن بين هذا النبات « إكليل الملك[1] » ، وهو نبات تروى القصة أنه

(١) اظر الفصل ١٤

عند ما سقط (عن رأس أوزيريس) ، وبقى وراءه ، كشف لتوفون عن الجرم الذى اقترف مع زوجه . ثم ولدت إيزيس هورس ولادة شرعية ، بينما ولدت نيفثوس أنوبس سراً (فى الخفاء) . ومع ذلك فقد ذكروا فى قوائم الملوك أن نيفثوس كانت أول الأمر زوجاً عقيما لتوفون ، ولكنهم إذا كانوا يحكون ذلك عن إلهة ، لا عن امرأة ، فإنهم يرمزون بهذا إلى عقم الأرض التام ، ومحلها البالغ اللذين ينجمان عن صلابتها .

٣٩ — وبذلك ترمز مؤامرة توفون ، وطغيانه إلى قوة الجدب التى تتغلب على الرطوبة وتشتت شملها .. تلك الرطوبة التى أوجدت النيل ، وأكثرت من مائه ، وترمز مساعدته الملكة الاثيوبية «أسو» إلى الرياح الجنوبية التى تهب من اثيوبيا ، إذ كلما تغلبت هذه الرياح على الرياح التجارية التى تدفع بالسحب تجاه اثيوبيا فتمنع نزول الأمطار التى تسبب الفيضان فإن توفون ، وقد بلغ ذروة قوته ، ومنتهاها ، يحرق كل شىء ، ويضطر النيل لضعفه إلى أن يحسر ماءه ويغيض فى مجراه ، ويجرى ضعيفا نحو البحر . وغالب الظن أن حبس أوزيريس فى الصندوق قد لا يعنى سوى تورية[1] مياه النيل ، واختفائها . ومن ثم يقولون : إن أوزيريس يختفى فى شهر هاتور (نوفمبر) عندما يفيض النيل تماما ، وتعرى الأرض ، وقد كفت

(١) وراه تورية أخفاه

الرياح التجارية حينئذ عن الهبوب — هذا من ناحية — ومن ناحية أخرى عندما يزداد الظلام ، ويطول الليل ، وتخبو قوة الضوء ، وتضعف . ولذلك يؤدى الكهان طقوسا كئيبة ، فيلفون بقرة مذهبة بثوب من التيل الأسود ، ويعرضونها بسبب حداد الإلهة أربعة أيام من اليوم السابع حتى اليوم العاشر (١) لأنهم يرون فى البقرة ، والأرض صورة إيزيس . وهناك أربعة أشياء يندبونها : أولها النيل الذى يتوارى وينحسر ، وثانيها الرياح الشمالية ، وقد أخمدتها الرياح الجنوبية تماما ، وسيطرت عليها ، وثالثها أن النهار أصبح أقصر من الليل ، وفوق هذا وذاك جرود الأرض ، وكذلك تجرد الشجر الذى سقطت عنه أوراقه . وينزل القوم فى اليوم التاسع عشر ليلا إلى البحر ، ويخرج أمناء الأردية ، والكهان منه ذلك الصندوق المقدس الذى يحتوى على علبة صغيرة من الذهب . وينزحون ماء قراحا ، ويصبونه فيها ، بينما يصيح الحضور (من نشوتهم) هانحن قد وجدنا أوزيريس. ثم يقبضون غرينا خصيبا ، ويخلطونه بتوابل زكية ، وطيوب فاخرة ، وماء ، ويشكلون من كل هذا تمثالا صغيرا فى هيئة هلال يكسونه ، ويزخرفونه ، وهم يبينون

(١) اقرأ « من اليوم السابع عشر حتى اليوم العشرين » أنظر هيفر ، المجلد الثانى ص ٢٢ ، الملاحظة « ١ »

بذلك أنهم يعدون هذين الالهين « أوزيريس ، وإيزيس » مبدأ الماء والأرض .

٤٠ — وبعد أن عثرت إيزيس على أوزيريس، وربت هورس الذى تقوى بالبخار ، والضباب والسحاب قهر توفون على أمره . ولكن لم يقض عليه . لأن الإلهة التى هى ربة الأرض لا تسمح بأن تفنى المادة الطبيعية التى تقابل الرطوبة فناء مبرما ، بل هى تطلقها ولا تقيدها « ثانية » لأنها ترغب فى الإبقاء على العالم إذ يستحيل على الكون أن يكون كاملا إذا ولى العنصر النارى عنه وفنى . وإذا لم يأخذوا بتلك الرواية فلايجوز لأحد أيضا أن يرفض القصة التى تقول بأن توفون كان يسيطر فى سالف الزمان على حصة أوزيريس لأن مصر مازالت « وقتئذ » بحرا . ولذلك يوجد حتى يومنا هذا محار كثير فى مناجمها وعلى جبالها ، وتحتوى كل الينابيع والآبار ، وما أكثرها على ماء ملح أجاج . كما لو تجمعت فيها فضاله فاسدة من البحر الذى كان ينساب هناك فيما مضى . ولكن هورس تغلب بمرور الزمن على توفون ، وبعبارة أخرى عندما هطلت الأمطار فى الوقت المناسب طارد النيل البحر ، وتغلب عليه ، وكشف عن الوادى ، وملأه بالرواسب الغرينية . ودليل على ذلك أننا نلاحظ حتى يومنا هذا أن البحر ينحسر شيئا فشيئا ويغيض ماؤه ، وأن القاع يزيد ارتفاعه بسبب الرواسب الغرينية عندما يجلب النهر معه طميا جديدا

ويضفيه على الأرض. ونلاحظ أيضا أن جزيرة فاروس التي تغنى هوميروس بأنها تبعد بمقدار رحلة يوم بحرا[1] عن ساحل مصر أصبحت اليوم جزءا منها. وليس معنى هذا أن الجزيرة قد وسعت رقعتها، أو أنها اقتربت (من الأرض) وارتفعت، بل معناه أن البحر الذى كان يفصلهما دفعه النهر أمامه، فشكل (بذلك) الأرض (من جديد) ووسعها.

[وهذا شبيه بالمبادىء التى كان الرواقيون يعلمونها عن الآلهة: فهم يقولون: إن الروح المخصب المغذى هو ديونوسوس، وإن الروح الشرس الهدام هو هيراكليس، وإن الروح المتقبل هو آمون، وإن الروح الذى يسود الأرض، ومحصولاتها هى ديميتر، وابنتها كورا، وإن الذى يسود البحر هو بوسيدون[2]].

٤١ — ولكن الذين يخلطون بهذه التفسيرات الطبعية (الفيزيكية) شيئاً من علم الفلك يعتقدون أن توفون هو العالم الشمسى، وأوزيريس العالم القمرى، لأن القمر ذا الضوء القادر على توليد الرطوبة، والإخصاب يوائم تكاثر الكائنات الحية، ونمو النبات، بينما تلفح الشمس بنارها الحامية القاسية كل ما نما

(١) أى ٧٠٠ ستاد أو ١٣٠ كيلومتراً تقريباً.

(٢) العبارات التى بين قوسين عبارات لا تتبع هذا الفصل (٤٠)، بل الفصل (٦٥) انظر هبنر، المجلد الثانى، ص ٢٣، الملاحظة (٣)

وازدهر وتجففه، وتجعل جزءاً كبيراً من الأرض بوهجها غير صالح للسكنى، وتتغلب على القمر فى مناطق كثيرة. ومن أجل هذا يسمى المصريون توفون دائماً سيث، ويعنى (هذا الاسم) الطغيان، والغلبة. ويحكون فى أساطيرهم أن هيراكليس يقيم فى الشمس، ويدور معها، بينما يقيم هرميس فى القمر، لأن أعمال القمر تشبه فى الواقع أعمال العقل والحكمة. أما أعمال الشمس فتشبه الضربات الصادرة فى عنف وقوة. ويقول الرواقيون أيضاً: إن الشمس تشتعل، وتتغذى من البحر، بينما تبعث مياه العيون والغدران إلى القمر بأبخرة لطيفه حلوة.

٤٢ — ويقول المصريون: إن وفاة أوزيريس حدثت فى اليوم السابع عشر (من الشهر)، أى فى ذلك اليوم الذى يصبح فيه القمر بدراً كاملا ساطعاً. ومن أجل ذلك يسمى أتباع فيثاغورس هذا اليوم «الحد الفاصل»، ويكرهون جداً هذا العدد، لأنه إذا وقع بين المربع ستة عشر، والمستطيل ثمانية عشر، وهما المساحتان الوحيدتان اللتان يكون محيطاهما مساويين لمسطحيهما، إذا وقع العدد ١٧ بينهما، فإنه يحول بينهما، ويفصلهما الواحد عن الآخر، ويقسمهما حسب نسبة خاصه[1] قسمين غير متساويين.

(١) تسمى بالإنجليزية (epogdoon relation): وتنقسم هذه المسألة الرياضية قسمين: تفسير القسم الأول منها أن المربع الذى طول ضلعه ٤ يكون مجموع طول =

ويقول بعضهم : إن أوزيريس عاش ثمانى وعشرين سنة ، ويقول بعضهم الآخر : بل حكم مدة هذه السنين ، إذ فى هذه المدة يسطع القمر ، وهى أيضاً المدة التى يُتم فيها دورته . ولذلك يقطع المصريون خشباً فى الأحفال المسماة بـ « جنائز أوزيريس » ، ويصنعون منه صندوقاً صغيراً هلالى الشكل ، ويختنق (أى يموت) . ويكنون بتخييل بدن أوزيريس أربع عشرة قطعة عن الأيام التى يتناقص فى أثنائها هذا الجرم من بدر إلى هلال . ويقولون : إن اليوم الذى يظهر فيه أول مرة من جديد بعد أن يفلت من الأشعة الشمسية ، ويمر بالشمس يسمونه « الخير الناقص » ، لأن أوزيريس خيِّر ، ولأن اسمه فى الحقيقة يعنى أموراً كثيرة ، ولكنه على وجه خاص يعبر عن القوة النشيطة الخيرة . ولكن هرمايوس يقول : إن الاسم الآخر للإله « أومفيس » يعنى عند تفسيره « فاعل الخير » .

= محيطه (أى ١٦) مساوياً لمساحته (أى ١٦) ، وكذلك يكون مجموع طول محيط المستطيل الذى ضلعاه ٣ × ٦ (أى ١٨) مساوياً لمساحته (أى ١٨) .

وتفسير القسم الثانى ما يأتى :

$\frac{١}{٨} \times ١٦ = \frac{١٦}{٨} = ٢$ ،

$٢ + ١٦ = ١٨$

أى أن عددى قسمي هذه المسألة هما ١٦ و ١٨ ؛ وبذلك يكون العدد الفردى ١٧ حداً فاصلا بينهما .

(٤٣) ويعتقدون أيضاً أن مظاهر فيضان النيل ذات علاقة معينة بأوجه القمر : فأعلى فيضان له عند الفنتينا يبلغ ثمانية وعشرين ذراعاً ، وهذا عدد أيام سطوعه التى يستغرقها فى انجاز دورته الشهرية ؛ أما أقل فيضان له عند منديس ، وخويس (choïs) فستة أذرع ، وهذا يوافق تربيعة الأول ، وأن ارتفاع فيضانه المتوسط عند ممفيس (منف) يبلغ — عندما يكون فيضانا عاديا — أربعة عشر ذراعا ، وهذا يوافق طلوع البدر . ويقولون أيضاً : إن آپس صورة أوزيريس الحية ، وإنما يولد عندما ينطلق شعاع خصيب من القمر ، ويهوى على بقرة عشراء ويمسها . ومن أجل هذا توجد أشياء كثيرة فى آپس تشبه أوجه القمر ؛ فأجزاء جسمه الناصعة تطمسها بقع حالكة . وفوق ذلك يحتفلون فى غرة الربيع عند طلوع هلال شهر برمهات (فبراير — مارس) بعيد يسمونه « دخول أوزيريس فى القمر » . وبذلك يضعون على هذا النحو قوة أوزيريس فى القمر ، ويقولون : إن إيزيس التى هى مبدأ التناسل تعاشره .

ومن أجل هذا يسمون القمر أم الدنيـا . ويعتقدون أن له طبيعتى الذكر والأنثى ، فتملؤه الشمس ، ويخرج أيضا هو نفسه مبادىء إخصاب فى الهواء ، ويبذرها . ولن يسود نشاط توفون الهدام ، بل ستقهره قوة الإخصاب وتصفده ، ثم تخلى سبيله بعد ذلك فيناضل هورس .

ويكون هورس بمثابة الكون الأرضى الذى لا يخلص ألبته من الفناء ، أو النشوء .

(٤٤) ويعتبر بعضهم هذه الأسطورة إشارة إلى الخسوف : فيخسف القمر إن كان بدرا عند ما تقف الشمس قبالته ، ويقع هو فى ظل الأرض ، كما وقع أوزيريس فى الصندوق ، ومن جهة أخرى عندما يكون القمر هلالا فإنه يحجب الشمس ويخفيها دون ان يقضى عليها قضاء تاماً (مثله فى ذلك كمثل إيزيس لم تقض على توفون[1]). وبعد أن ولدت نيفثوس أنوبس كفلته إيزيس لأن نيفثوس هى كل ما يوجد تحت الأرض ، ويكون مرئيا ، والدائرة التى تمسها وتسمى الأفق والتى تشتركان فيها تسمى أنوبس ، ويرمز إليها بشكل كلب لأن الكلب يرى فى الليل ، والنهار على السواء . ويظهر أن لأنوبس عند المصريين نفس الصفة التى للإلهة «هيكاتا» عند الإغريق ، لأنه أحد آلهة العالم الآخر (السفلى) ، وأحد آلهة الأولومبوس أيضا . ويرى بعضهم أن أنوبس هو الزمن ، ولذلك لما كان يخلق كل شىء من ذاته ، ويحمل بها فى ذاته سمى الكلب . ومن ثم كانت هناك تعاليم سرية يتعلمها أولئك الذين يمجـــدون

(١) العبارة بين قوسين ترجمة لعبارة وردت فى نص بابيت («Bâbbitt») ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، ولكنها لم ترد فى النص اليونانى . أنظر هبنر ، المجلد الثانى ، ص ٢٥ ، الملاحظة (١)

أنوبس . فقد كان الكلب قديمـــا فى مصر يحظى بأعظم تمجيد . ولكن قمبيز ذبح العجل آپس ، ورماه فلم يدن منه أى حيوان ، ولم يأكل منه سوى الكلب ، وبذلك فقد هذا الحيوان منزلته العالية ، ولم يعد يحظى بأسمى آيات التمجيد دون غيره من الكائنات .

(ولكن هناك قوماً يطلقون اسم توفون على ظل الأرض ، حيث ينزلق القمر عند ما يصيبه الخسوف[1]) .

(٤٥) إذن ليس من غير المعقول القول بأن حكم الفرد وحده لا يكون صحيحاً ، وبأن حكم الجماعة قد يكون صائباً : فليس الجدب وحده ، ولا الريح ، ولا البحر ، ولا الظلام فحسب ، بل (أيضاً) كل خبيث وهدام تحتويه الطبيعة يمكن الإنسان أن يسميه حصة توفون ، إذ ينبغى ألا توضع أصول الكون فى أجسام عديمة الروح ، كما يرى ديموقريط ، وأبيقور ، وكذلك يجب على الإنسان ألا يزعم كما زعم الرواقيون أن هناك عقلا واحدا فحسب ، وعناية واحدة فقط يسودان كل شىء ، ويكون لهما عليه سلطان بوصف كل منهما خالقا للمادة الأزلية العديمة الخاصية . فنى الواقع يستحيل على شر ما أن يوجد حيث يكون الله أصل كل شىء ، ولا يستطيع

(١) هذه العبارة التى بين قوسين تـكرار لا محل له هنا . انظر هبفنر ، المجلد الثانى ، ص ٢٥ ، الملاحظة (٣) .

خير أن يوجد حيث لا يكون الله أصل أى شىء . إذ أن تآلف الكون فى رأى هيراقليط شبيه بمرونة أوتار العود ، أو القوس ، ويقول يوريبيدس :

« لا يمكن الخير والشر أن ينفصلا ، ولكنهما يختلطان ليصبحا شيئا جميلا » .

ومن أجل ذلك ورد عن الأحبار (١) ، والشارعين إلى الشعراء والفلاسفة مبدأ قديم ضارب فى القدم ، ولا نعرف أصل نشأته ، راسخ ، قوى فى إقناعه سائد بين الأجانب والإغريق ليس بالكلام والروايات فحسب ، بل بالشعائر والقربان . فحواه أن الكون لا يدور دورانا متزنا من تلقاء ذاته بلا فكر أو عقل أو توجيه ، وأن ليس هناك فكر واحد يتحكم فيه ، ويوجهه كما لو كان يفعل ذلك بدفة ، أو لجام ، بل إن هناك كثيراً من الأمور امتزج فيها الخير والشر ، وأنه لا يوجد شىء ذو طبيعة دنيوية لم يختلطا فيه ؛ فليس على المرء أن يعتقد أن هناك خالقا واحدا يخلط لنا الأشياء كأنى بها سائلان فى دنين على طريقة البياعين ، بل يحدث ذلك نتيجة لوجود مبدأين متعارضين ، وقوتين متضاربتين ، إحداهما تسير (بنا) فى طريق مستقيم وإلى اليمين ، بينما تدفعنا الأخرى

(١) الأحبار جمع حبر . والحبر العالم من علماء الديانة مسلما كان أو ذميا . الإفصاح ، ص ٨٣

وتقودنا فى طريق مضاد . فإذا لم تكن الحياة كلها ، والكون بأسره خاضعين لجميع التغيرات المختلفة المتباينة فإن عالمنا هذا الذى تحت القمر يكون خاضعا لها . فإذا لم يكن ثمة شىء لا مبدأ له ولا أصل ، وإذا استحال على الخير أن يقدم مبدأ الشر ، فلا بد من أن تحتوى الطبيعة على أصل الشر ومبدئه ، كما تحتوى على أصل الخير ومبدئه .

٤٦ — وعلى هذا الرأى أغلب الناس وأحكمهم ، لأنهم يعتقدون أن هناك إلهين متناحرين ، أحدهما بارىء الخير ، والثانى صانع الشر ؛ ويسمى البعض أولهما « إلها » ، والآخر « جنيا » ، كما يسميهما الحكيم زوروا ستريس الذى عاش قبل حرب طروادة بخمسة آلاف سنة فقد سمى زوروا ستريس أحدهما « هورومازيس » (Hormazes) والآخر « أرايمانيوس » وقال أيضا : إن « هورومازيس » يشبه من بين المدركات النور شبها كبيرا ، بينما يشبه أرايمانيوس الظلام والجهل ، ويتوسطهما ميثراس ؛ ومن ثم يطلق الفرس على ميثراس اسم « الوسيط » . وقد علم « زوروا ستريس » أيضا الناس أن يقربوا لأحدهما قرباناً للضراعة والشكران ، وللآخر قربانا عاصما كئيبا . ويسحقون نباتا معينا يسمى أمومى فى هاون ، ويضرعون إلى هاديس وإلى الظلام ، ثم يمزجونه بدم ذئب عتير (١) ويحملون

(١) « العتر » .. و « العتيرة » ، بوزن الذبيحة شاة كانوا يذبحونها فى رجب لآلهتهم . مختار الصحاح ، ص ٤١٠

هذا المزيج إلى مكان لا تضيئه الشمس أبدا ، ثم يلقونه فيه . فهم يعتقدون أن من النبات ما ينتسب إلى الإله الخير ، وأن منه ماينتمى إلى الجنى الخبيث ، وكذلك الحيوان ، فمنه الكلاب مثلا والطير والقنافذ البرية تنتمى إلى الإله الخير ، بينماتنسب الفئران المائية إلى الجنى الخبيث ، ولذلك يعتبرونه محظوظا ذلك الذى يقتل منها عدداً غفيرا .

٤٧ — ولكنهم يحكون أساطير كثيرة عن الآلهة مثل هذه . إن هورومازيس الذى نشأ من أطهر نور ، وأرايمانيوس الذى خرج من الظلام يتناحران . وإن هورومازيس خلق ستة آلهة . أولهم خالق الرحمة ، وثانيهم خالق الحقيقة ، وثالثهم خالق النظام الوضعى ، وأما الثلاثة الآخرون فأحدهم خالق الحكمة ، والثانى خالق الثراء ، والثالث خالق اللذات الطيبة الشريفة . ولكن أرايمانيوس خلق لهم خصوما يساوونهم عدداً . وحينئذ زاد هورومازيس من حجمه ثلاثة أضعاف ، وابتعد عن الشمس ابتعاد الأرض عنها ، ورصع السماء بالنجوم ، وجعل (من بينها) نجما يدعى سيريوس حارسا عليها وديدبانا . وبعد أن خلق أربعة وعشرين إلها آخرين وضعهم فى بيضة . ولكن الآلهة الذين خلقهم أرايمانيوس ، وكانوا بعدد الآلهة الآخرين ، نقبوا البيضة من جميع [جوانبها ، وانسربوا فيها ، وامتزجوا بهم] فاختلط الشر بالخير ، ومازال مختلطا . بيدأنه سيحين زمن يعينه القضاء والقدر سيموت أرايمانيوس فيه حتما

بهذا الوباء ، وتلك المجاعة اللذين أوجدهما هو نفسه ، ويتوارى تماما عن الأنظار ، وستصبح الأرض حينئذ سهلا مستويا ، وستحتوى لونا واحداً من الحياة ، وصورة واحدة من الحكومة ، ولسانا واحداً لبشر مباركين . ولكن ثيوپومپوس يقول : وبناء على قول الحكماء يسود بالتبادل مدة ثلاثة آلاف سنة أحد هذين الإلهين ، ويصبح الآخر تحت سيطرته ، ثم يقتتلان ثلاثة آلاف سنة أخرى ويتحاربان ، ويفنى كل منهما أعمال الآخر ، وفى آخر الأمر سيقضى على هاديس ، وسيغتبط البشر (حينئذ) بينما لاتكون بهم خصاصة إلى طعام ، ولا يلقون أى ظل . وإن الإله الذى دبر كل هذه الأمور سيتعطل بعد ذلك ، وسيستريح وقتاً ليس فى الحقيقة بالطويل بالنسبة إلى إله ، لأنه لايزيد على الوقت المعقول الذى ينامه الإنسان ، تلك إذن طبيعة الأساطير التى يرويها الحكماء .

٤٨ — ويقول الكلديون إن من بين الكواكب التى يسمونها بالآلهة الحارسة [1] ، إلهين للخير ، وآخرين للشر ، وثلاثة آخرين من طبيعة مشتركة بين الخير والشر معا ، ومتوسطة بينهما . أمامعتقدات

(١) أو : يقول الكلديون إنهم يسمون الآلهة بأسماء الكواكب التى ينسبون إليها وإن من بين هذه الآلهة .. انظر :
Meunier, M., Isis et Osiris, Paris, 1926, p. 152.

الإغريق فمعروفة لكل إنسان ، فهم يجعلون نصيب زيوس الأولمبي الجانب الخيّر ، ونصيب هاديس الجانب البغيض . ويروون فى أساطيرهم أن آريس وأفروديتا أنجبا « الوئام » ، وأن الأول كان فظا محباً للخصام ، وأن الثانية كانت وديعة مسالمة . واعلمى ، يا كايـا ، أن فلاسفتهم موافقون على كل هـذا ؛ فيسمى هيراكليتوس القتال بصراحة والد الأشياء كلها ، ومليكها ، وربها . ويقول عن هوميروس : إنه عند ما يتمنى زوال الخصام بين الآلهة ، وبين الناس ، يسب بذلك — دون أن يدرى — أصل جميع الأشياء ، لأنها تنشأ من القتال والبغضاء ، وإن الشمس لن تجتاز أبداً الحدود المخصصة لها ، وإلا اكتشفت أمرها « الأرينويس » (Erinues) اللاتى تسهرن على حماية « العدالة » . ويطلق إمبدوكليس على المبدأ الخير اسم الوداد والحب ؛ وغالباً ما يسميه « الوئام ذا النظرات الوديعة » ، بينما يسمى مبدأ الشر « الصراع المشئوم » ، و « الخلاف الدامى » . ويعبر أتباع فيثاغورس عنهما بألفاظ أخرى : فيسمون مبدأ الخير « الوحدة » ، و « المحدود » ، و « الدائم » ، و « المستقيم » ، و « الفرد » ، و « المربع » ، و « المتساوى » ، و « الأيمن » ، و « الساطع » ؛ ويسمون الشر « التثنية » ، و « غير المحدود » ، و « المتحرك » ، و « المنحنى » ، و « الزوجى » ، و « المستطيل » ، و « غير المتساوى » ، و « الأيسر » ، و « المظلم » ؛

ويعنون بذلك أن على هذين المبدأين (المتعارضين) قامت الخليقة . ويطلق أناكساجوراس أيضاً عليهما (مبدئى) العقل ، واللانهائية ، ويطلق أرسطو على أحدهما الصورة ، وعلى الآخر الحرمان ، ومع أن أفلاطون يخفى رأيه ولا يوضحه ، إلا أنه فى مواضع عديدة يسمى أحد المبدأين المتعارضين المطابق ، والآخر المخالف . ولكنه عند ما نضج تفكيره ، وكتب « القوانين » لم يعد يلغز أو يرمز ، وأكد فى عبارة واضحة أن الكون لايحركه روح واحد ، بل ربما أكثر من روح ، وعلى وجه التأكيد لا أقل من روحين أحدهما خالق الخير ، والثانى مخالف له وهو صانع الشيء المخالف . ثم يضع بينهما أيضا طبيعة ثالثة ليست عديمة الروح ولا عديمة الحركة من تلقاء ذاتها ، كما يتوهم بعضهم ، بل تكون قائمة على الروحين الآخرين ، وترغب دائماً فى الخير ، وتتوق إليه وتتأثره .. كما سيوضح الجزء التالى من البحث الذى سيعقد الصله بين تعاليم المصريين الدينية ، وهذا الرأى الفلسفى .

٤٩ — إن خلق العالم ، وتركيبه ناتج فى الحقيقة من قوتين متعارضتين ، ليستا متكافئتين فى الشدة ، ولكن تكون لخير القوتين الغلبة . بيد أن القضاء على الشر أمر مستحيل إذ أنه تغلغل فى جسم الكون ، وفى روحه كذلك ، وأنه فى صراع مستمر مرير مع الخير . ففى الروح يوجد الذكاء والعقل ؛ والعقل هو أوزيريس

سيد كل ما هو خير ومرشده ، أما الشيء الرتيب الثابت مما هو فى الأرض ، والأجواء والمياه والسماء والنجوم ، والشيء السليم المعافى فى فصول السنة ، ودرجات الحرارة ، ومرات الدوران ، ودورات الحياة — كل هذا سيل أوزيريس ، وصورته المرئية . أما توفون فهو الجانب الشهوانى ، والهوائى ، والغبى ، والسخيف من الروح ، وهو ذلك الجزء من الجسد الذى هو زائل وسقيم ، وكذلك القحط والعواصف ، وكسوف الشمس ، وخسوف القمر ، كأنى بكل هذا اعتداء توفون وانطلاقه من عقاله .

وهذا ما يعنيه اسم سيث الذى يطلقونه على توفون ، إذ يعنى « القهر » و « العدوان » ، ولكنه يعنى أيضا فى كثير من الأحيان « القهقرى» و « الكر » . ويروى بعضهم أن أحد رفاق توفون كان يسمى بيون . ولكن مانيثون يقول : إن بيون هو توفون نفسه . ويعنى هذا الاسم « الكبح » ، أو « الإعاقة » ، لأن قوة توفون تعترض الأشياء التى تسير فى طريقها الصحيح ، والتى تتقدم نحو الهدف المنشود .

٥٠ — ومن أجل هذا يخصونه من بين الحيوانات المستأنسة بالحمار ، وهو أغباها ، و (يخصونه) من بين الوحوش بأشرسها ، وهما التمساح ، وفرس النهر . أما الحمار فقد تكلمت عنه آنفا (فى الفصل ٣٠) ويشيرون فى هرموبوليس إلى تمثال توفون على هيئة

فرس النهر يقف على ظهره باشق يصارع ثعبانا . ويشيرون بفرس النهر إلى توفون ، وبالباشق إلى الغلبة والسلطان اللذين اكتسبهما توفون قسرا ، واللذين لا يكف أبدا عن استخدامهما بخسة لإثارة نفسه ، وإثارة غيره . ومن أجل ذلك يرسمون عندما يقربون لها القربان فى اليوم السابع من شهر طوبه (ويوافق اليوم الثانى من شهر يناير) ذلك اليوم الذى يسمونه يوم « وصول إيزيس من فينيقيا » — يرسمون على الطلمة (المقدسة) شكل فرس النهر محكم القيد . وفى أبوللونوبوليس شنشنة عامة هى أن يأكل الناس جميعا ، وأن يصيدوا فى يوم معين أكثر ما يمكن من التماسيح ، ويذبحوها ويلقوا بها أمام المعبد ؛ ويقولون : إن توفون قد أفلت من هورس بأن صار تمساحا ، بينما يعدون كل خبيث وضار من حيوان ، ونبات ، وأعمال من صنع توفون ، وأعضاء جسمه ، وحركاته .

٥١ — وهم يكتبون (اسم) أوزيريس بعين وصولجان ، ويدل أحدهما على الحذر ، والآخر على القوة ؛ ومثلهم فى ذلك كمثل هوميروس[1] عندما سمى زيوس ملك كل شيء ، والحاكم «الأعلى» ، و « المستشار » يبدو أنه كان يعنى بكلمة « الأعلى » قوته ، وبكلمة « المستشار » تبصره وحكمته . ويكتبون غالبا (اسم) هذا الإله

(١) الإلياذة : ٨ ، ٢٢

كذلك على هيئة باشق ، إذ أن هذا الطائر لايبارى فى حدة بصره ، وسرعة طيرانه ، كما أنه يستطيع أن يعيش على النزر اليسير من الطعام . ويحكى أيضا أنه فى أثناء حومانه فوق جثث ملقاة من غير دفن يلقى بالتراب فى عيونهم . وكذلك إذا ما حط عند النهر ليرتوى فانه يرفع ريشه عاليا ، فإذا ما فرغ من الارتواء خفضه ثانية ، ويبرهن بهذه الحركة على أنه نجا بحياته ، وأنه قد أفلت من التمساح ، لأنه إذا اقتنص ظل ريشه مرفوعا كما كان .

ويعرضون فى كل مكان تماثيل أوزيريس وهو فى صورة آدمية (عارياً) . . . . ويلبسون تماثيله رداء براقا ساطعا ، لأنهم يعدون الشمس جسما مرئيا لقوة الخير . وهى حكمة لاتدرك إلا بالعقل . لذلك كان غير مجد أن يهتم المرء بأولئك الذين يختصون توفون بدائرة الشمس ، إذ لاينتسب إليه أى شىء منير ، أوصحى ، أو أى إنتاج ، أوحركة ينتظمها الاعتدال والعقل ، بل كل مايخالف ذلك . وكذلك الجدب ، واللفح اللذان يهلك بهما حيوانا ، نباتا كثيرين يجب على الإنسان ألا يعدهما من عمل الشمس ، بل عمل الرياح ، والمياه ، وذلك لاختلاطهما فى الأرض ، والهواء قبل الأوان عندما تجور قوة الفوضى الضاربة التى لاتحد وتطفىء الأبحرة .

٥٢ — وفى أناشيدهم الأوزيرية المقدسة يضرعون إلى ذلك الذى هو خبىء فى ذراعى (إله) الشمس (أى هليوس) وفى اليوم الثلاثين من شهر أبيب (ويوافق اليوم الرابع والعشرين من شهر يوليو) يحتفلون بعيد ميلاد عينى هورس عندما يقع القمر ، والشمس على خط مستقيم ، لأنهم لايعدون القمر فحسب بل الشمس أيضا عين هورس ونوره . وفى اليوم الثالث والعشرين من شهر بابه (ويوافق اليوم العشرين من شهر اكتوبر) يحتفلون بعيد ميلاد عصا (إله) الشمس (أى هليوس) عند الاعتدال الخريفى . ويعنون بذلك أن إله الشمس فى حاجة إلى سند وتقوية لأنه وقد انثنى وانحنى لافتقاره إلى الدفء ، والنور ، يبعد عنا . وفوق ذلك يطوفون إبان الانقلاب الشتوى (٢٣ ديسمبر — ٢٧ كيهك) ببقرة حول معبد هليوس سبع مرات ، ويسمى هذا التطواف « البحث عن أوزيريس » لأن الإلهة فى فصل الشتاء تتوق إلى الماء ، وهم يطوفون هذا القدر لأن الشمس تتم انتقالها من الانقلاب الشتوى إلى الانقلاب الصيفى (٢١ يونيو) فى الشهر السابع . ويقال أيضا : إن هورس بن إيزيس أول من كان يقرب لإله الشمس قربانا فى اليوم الرابع من الشهر (أى شهر بشنس — ٢٩ ابريل أو بؤونه — ٢٩ مايو) كما هو مدون فى السجلات التى عنوانها أعياد هورس . ويقربون كل يوم ثلاثة قرب من البخور

لإله الشمس : قربان القلفونية عند الشروق ، والمر عند الظهيرة ، وما يسمونه «كفى» عند الغروب ، ولكل من هذه القرب الثلاثة سبب سأذكره فيما بعد (فى الفصل ٧٩) ويظنون أنهم بكل هذه يستميلون الشمس ، ويمجدونها .

ولكن ما الحاجة إلى جمع مثل هذا العدد الكبير من الأشياء ؟ هناك فئة من الناس تزعم أن أوزيريس ماهو إلا الشمس ، ويسميه الإغريق كلب الجبار (سيريوس Sirius) ، وإن اضافة الأداة إلى هذا الاسم عند المصريين (٥) أدت إلى شيء من الغموض . وهناك من يقول : ليست إيزيس سوى إلهة القمر . ويقال من أجل ذلك : إن تماثيلها ذات القرنين نسخ من الهلال . وإن فى تماثيلها ذات الرداء القاتم يستبين المرء استتارها ، واحتجابها عندما تلاحق إله الشمس (أى أوزيريس) اشتياقا وحنينا . ومن أجل ذلك يضرعون إلى إلهة القمر (أى ايزيس) فى غرامياتهم ، ويقول يودكسوس : إن إيزيس هى التى تقرر مصير هذه الأمور . وقد تكون آراء هؤلاء القوم من الاحتمال بمكان ، ولكن ليس جديرا بالإنسان أن ينصت لأولئك الذين يجعلون من توفون إلها للشمس . والآن فلنرجع ثانية إلى موضوعنا الأصلى (الحقيقى) .

٥٣ — إذاً تكون إيزيس الجزء المؤنث من الطبيعة ، والمتقبلة كل صور التناسل ؛ ومن أجل ذلك يسميها أفلاطون «المربية اللطيفة»

و«المتقبلة لكل شيء» ، ويسميها معظم الناس «صاحبة الأسماء التى لاتحصى» لأنها بقوة العقل (لوجس) تستطيع أن تتقبل كل أنواع الأشكال والصور . فحبها فطرى نحو (الكائن) الأول والأعلى الذى هو الخير نفسه ، وإلى هذا (الكائن) تتوق ، وإياه تلاحق . أما الشر فتأبى منه ، وتلفظه عن نفسها . ومع أنها تكون لهما بمثابة وعاء للنمو ومادة له ، إلا أنها تميل دائما إلى خيرهما ، وتجعله ينتج منها ، ويلقحها بفيوضه ، وصورته التى تبتهج بها ، وتطير فرحا عندما تحمل المخلوقات فى بطنها . فالخلق صورة الوجود فى المادة ، والمخلوق يشبه صورة الموجود .

٥٤ — فليس من الغريب إذاً أن يرووا فى أساطيرهم أن روح أوزيريس خالدة وغير فانية ، ولكن توفون يخبل جسده مرارا ويبيده ، فتبحث إيزيس عنه جائلة ، وتركب أجزاءه ثانية . فذلك الموجود (حقا) ، والمدرك ، والخير أقوى من الفناء والتغير . والصور التى يشكل منها المدرك ، والجسد ، والأفكار ، والأشكال ، والمتشابهات التى يتخذها لنفسه لاتدوم كصور الأختام فى الشمع ، بل يصيبها الاضطراب والارتباك (فى هذا العالم) بعد أن هوت من أعلى عليين لتتصارع مع هورس الذى ولدته إيزيس ليكون صورة للكون المدرك (بالحس) . ومن أجل ذلك يقال : إن توفون

قاضاه على أنه ولد منبوذ (١) ، غير نقى ، ولا صاف كأبيه ، ذلك العقل الذى هو فى ذاته غير مخلوط ، وبسيط ، ولكنه مشوب فى مادته بسبب العنصر الجسدى ، إلا أن هورس يتغلب ، وينتصر بمساعدة هرميس ، أى العقل الذى يشهد ، ويبين أن الطبيعة ، إذ تغير من شكلها فى الجانب المدرك ، تلد الكون (المدرك بالحس). فإنجاب هذين الإلهين بينما كانا فى بطن أمهما ريا ، وبعبارة أخرى ميلاد أبوللون من إيزيس ، وأوزيريس ، يرمز إلى أن هذا العالم قبل أن يكون مرئيا ، وقبل أن يشكل العقل المادة فى صورتها النهائية ، خبرتها الطبيعة فأنجبت من تلقاء نفسها الميلاد الأول ناقصا . وهذا هو السبب الذى يقول المصريون من أجله : إن هذا الإله قد وُلد فى الظلام مقعدا ، ويسمونه هورس الشيخ . فلم يكن ثمت عالم حينئذ اللهم إلا طيف العالم الذى سيكون .

٥٥ — أما هورس (الآخر) هذا فكامل وتام ؛ ولكنه لم يقض على توفون قضاء مبرماً ، إنما اغتصب نشاطه وقوته . ومن أجل ذلك يقولون : إن تمثال هورس فى كوپتو (قفط) يمسك فى إحدى يديه عورة توفون . ويحكون عن هرميس أنه انتزع شرايين توفون ، وجعلها أوتاراً لعوده ، ومن ذلك يعلم الإنسان أن العقل (لوجس)

(١) المنبوذ — ولد الزناء والأنثى نبيذة — الافصاح ، ص ١٣٩

نظم الكون ، وجعل من الأجزاء المتنافرة أجزاء متآلفة ، وأنه لم يقض على القوة الهدّامة ، بل شلها ، وتصبح هذه (القوة الخبيثة) ضعيفة وهنانة فى هذا العالم ، وتتصل بالعناصر الحساسة المتغيرة ، وترتبط بها ، فتحدث الزلازل ، والهزات الأرضية ، والأمحال ، والرياح المعصفات فى الهواء ، وكذلك الحرور (١) ، ووميض البروق ، وقصف الرعود . وكذلك تصيب المياه ، والرياح بالوباء ، وتُصعّد وتتعالى حتى (تبلغ) القمر ، فتعكر غالباً سطوعه ، وتطمسه ؛ ويعتقد المصريون ويحكون أن توفون تارة يصفع هورس على عينه ، وتارة ينزعها ويلتهمها ، ثم يردها ثانية إلى هليوس (رع) . ويرمزون بالصفع إلى تناقص القمر كل شهر ، وبالإعماء (التام) إلى خسوفه الذى تعالجه الشمس (أى هليوس) عند ما تسطع عليه تماماً ، وهو يفلت من ظل الأرض .

٥٦ — ولكن خير الطبيعتين ، وأقدسهما تتركب من ثلاثة أجزاء هى : المدرك (العقلى) ، والمادى ، وما يتكون منهما ، وهو ما يسميه الإغريق بالكون . ولقد اعتاد أفلاطون أن يسمى المدرك (العقلى) المثل ، أو النموذج ، أو الوالد ؛ والمادى الوالدة ، أو المربية ، أو مقر الخلق ومحله ؛ وما ينتج منهما كليهما بالنتاج ، والخليقة ؛ ويحتمل أن المصريين يقدرون أجمل المثلثات قاطبة (أى

(١) الحرور — الريح الحارة . . الإفصاح ، ص ٤٧٣

المثلث القائم الزاوية)، لأنهم يشبهون به طبيعة الكون تشبيهاً تاماً؛ ويبدو أن أفلاطون أيضاً فى «جمهوريته» قد استغل هذا المثلث ليعبر به عن الزواج بصورة هندسية. ففيه الضلع القائم مكوّن من ثلاث وحدات، وقاعدته من أربع. ووتره من خمس (وحدات طولية)، وقوة هذا الوتر (أى مربعه) تساوى قوة الضلعين الآخرين (أى مجموع مربعيهما). [ولذلك يمكن الإنسان أن يشبه الضلع القائم بالذكر، والقاعدة بالأنثى، والوتر بنتاج الاثنين؛] ويعتبر أوزيريس الأصل، وإيزيس المتقبلة، وهورس النتاج الكامل (فالعدد) ثلاثة أول عدد فردى تام، وأربعة مربعٌ أحد ضلعيه العدد الزوجى اثنان، ولكن (العدد) خمسة يشبه بعضه أباه، وبعضه الآخر أمه، لأنه مركب من ثلاثة، واثنين. وتشتق الكلمة «پانتا» بمعنى «الكل أو الكون» من پنتا (pente بمعنى «خمسة»)، ويسمون العد (أو الإحصاء) «التخميس» (أى العد بالخمسات). وكذلك يكوّن العدد خمسة من ذاته مربعاً من وحدات يساوى عددها عدد الحروف الهجائية المصرية، وعدد السنين التى يحياها عادة العجل آپس. واعتاد المصريون أيضاً أن يسموا هورس «مين» ومعناه «المنظور»، لأن الكون مدرك بالحس ومرئى، بينما تسمى إيزيس أحياناً موث (Mouth)، وأحياناً أخرى أثورى (Athyri)، أو مِثوِر (Methuer). ويعنون بأول هذه الأسماء

الأم، وبالثانى البيت الكونى لهورس، أى محل ووعاء الخلق، كما يذهب أفلاطون، والثالث مكون من كلمتى «المليئة» و«السبب» إذ أن مادة الكون مليئة، ومقترنة (كإيزيس) (بأوزيريس) الخيّر، الطاهر، الرتيب.

٥٧ — ويبدو أن هيسيودوس أيضاً عند ما جعل من خاؤس، والأرض، وتارتروس وإروس أصول الأشياء كلها، لم يفكر فى أصول أخرى غير هذه، إذا استبدلنا الأسماء، فأطلقنا اسم الأرض على إيزيس، واسم إروس على أوزيريس، واسم تارتروس على توفون، أما خاؤس فقد جعله هذا الشاعر فى القاع ليكون بمثابة مقر للكون. وكأن هذا الموضوع يذكّر الإنسان على نحو ما بأسطورة أفلاطون التى يقصها سقراط فى «المأدبة» عن ميلاد إروس، فيقول: إن إلهة الفاقة (پنيا — Penia) عند ما اشتاقت إلى الأطفال اضطجعت بجانب إله الوفرة (Poros) وهو نائم، فحملت منه، وأنجبت إروس، وهو ذو طبيعة مختلطة شديدة التغير، لأنه أنجب من أب خيّر حكيم يكفى نفسه بنفسه فى كل شىء، ولكن أمه معوزة ومعدمة، تتطلع دائماً بسبب عوزها إلى شخص آخر تتعلق به. فليس إله الوفرة سوى الأول المحبوب، والمرغوب فيه، والكامل، والكافى نفسه بنفسه. ويسمى أفلاطون المادة الخام الفقر، فهى تفتقر فى ذاتها إلى الخير، بينما هى تمتلىء منه، وتتوق إليه

دائماً، وتشترك فيه. وليس الكون (وهو) هورس الذى ينجبانه مخلداً، أو خلواً من المشاعر، والآلام، أو غير فانٍ، ولكنه تتجدد ولادته دائماً أبداً، ويظل شاباً على الدوام غير خاضع ألبتة للفناء بتغير الأحداث، ودورانها.

٥٨ — وعلى المرء ألا يدرس الأساطير على أنها قصص حقيقية، بل يجب عليه أن يأخذ من كل أسطورة القدر المناسب الذى يتفق والواقع. ولذلك إذا ما تحدثنا عن المادة يجب ألا ننساق وراء آراء بعض الفلاسفة، فنتصورها جسما عديم الروح دون صفات مميزة، بليداً فى حد ذاته، وخاملا. فنحن فى الواقع ندعو الزيت مادة التطيب، والذهب مادة التماثيل، ولكنهما ليسا مفتقرين إلى التميز. ونقدم روح الإنسان ذاتها وفكره على أنهما مادة أساسية للمعرفة والفضيلة، ونمدهما بالعقل ليزيّنهما وينسقهما، وقد أعلن بعضهم أيضاً أن العقل (nous) مكان تتجمع فيه الصور، وتنطبع الأفكار. ويرى بعضهم أن إفراز الأنثى ليس قوة، ولا أصلا، بل مادة الإنتاج وغذاؤه. ولذلك يجب علينا أن نتمسك بهذه الفكرة، وأن نتخيل أيضاً أن هذه الإلهة إيزيس تشاطر دائماً (حياة) الإله الأول (أوزيريس)(١)، وتقترن به لحبها، واشتياقها للأشياء الطيبة والجميلة التى حوله، ولا تخالفه ألبته(١). فكما نقول

(١) أكمل هكذا: « بل تحبه عند ما تقترن به حب زوجة شرعية تقية ».

عن الزوج الشرعى الشريف: إنه يحب زوجته، ويحق له معاشرتها، وكما نقول عن الزوجة الفاضلة التى تعاشر زوجها: إنها ترغبه، وتشتاق إليه، كذلك يمكننا أن نتصور هذه الإلهة متعلقة به دائماً، ومُلحّة عليه، وممتلئة (أى حاملا) على الدوام بأرفع المبادئ، وأطهرها(١).

٥٩ — ولكن عندما يقتحم توفون، ويستولى على الأصقاع المتطرفة، فإنها تبدو آسية، وتوصف بأنها تنتحب، وأنها تبحث عن رفات أوزيريس، وأشلائه المبعثرة، وتكسوها وترتبها. ثم تأخذ الأجزاء الفانية، وتخفيها لكى تخرجها من نفسها، وتبعث منها خلقا جديداً، لأن مبادىء هذا الاله، وصوره، وفيوضه تبقى فى السماء، وفى النجوم، أما الأشياء التى تذرى فى العناصر المتغيرة: فى الأرض، وفى البحر، وفى النبات، والكائنات الحية فإنها تتحلل وتموت، وتوارى التراب، ولكنها غالباً ما تضىء من جديد، وتبين ثانية فى نتاجها (وتناسلها). ومن أجل هذا جرت الأسطورة بأن توفون كان يضاجع نيفثوس (على أنها

(١) ترجم هيفنر هذه العبارة هكذا: « فكما تقول عن الزوجة الوديدة إنها ترغب فى زوجها، وتشتاق إليه على الرغم من أنها تمتلكه، وتعاشره، كذلك يقال عن الإلهة: إنها لا تبتعد عنه، بل تتمسك به على الرغم من أنها تمتلىء (أى تحمل) بأرفع المبادئ وأطهرها ».

زوجته الشرعية) ، ولكن أوزيريس كان ذا علاقة خفية بها ، فإن القوة الهدامة تسيطر سيطرة تامة على الأجزاء المتطرفة من المادة التى يسمونها نيفثوس أو النهاية . ولكن القوة الخالقة والحافظة لاتنتشر فى هذه الأجزاء إلا بذرة ضعيفة وهنانة ، يقضى توفون عليها اللهم إلا ماتلتقطه (منها) إيزيس (على شكل أنوبس) ، وتصونه ، وتنميه ، وتثبته .

٦٠ — وخلاصة القول أن هذا الإله أوزيريس هو خير الالهين كما يرى أفلاطون ، وأرسطو ؛ ويتحرك نحوه العنصر الخالق والحافظ فى الطبيعة ، ويتجه إلى الوجود ، بينما يبتعد عنه العنصر المبيد الهدام ، ويتحرك نحو اللاوجود . ومن أجل ذلك يسمون إيزيس باسم مشتق من (الإسراع) مع الفهم ، أو الحمل أماما لأنها حركة حية ذكية . فليس هذا الاسم اسما أعجمياً ، بل كما أن جميع الآلهة يطلق عليهم لفظ عام واحد هو ثيوى (theoi) ، وهذا اللفظ مشتق من كلمتين هما (theaton) وتعنى المرئى ، و(theon) وتعنى المسرع : كذلك نسمى هذه الالهة « إيزيس » بسبب فهمها ، وحركتها ، ويسميها المصريون إيزيس أيضاً . ويقول أفلاطون : وعلى هذا النحو كان القدماء يطلقون على «الجوهر» (ousia-essence) لفظة « العقل » (isia - sense) ولذلك يتحدث عن الفكر ،

والفهم على أنهما طفرة العقل ، وحركته فى أثناء إسراعه وحمله . وعلاوة على ذلك ينسبون الفهم ، والخير ، والفضيلة إلى الأشياء الدائمة الجريان والسرعة ، كما كانوا يحقرون الشر بأضدادها : فيسمون ما يعرقل الطبيعة ، ويقيدها ، ويقفها ، ويعوق تقدمها ، وسيرها الخبيث « السير المريض » (kakia) و « الحيرة » أو « صعوبة السير » (aporia) و « الجبن » أو « الخوف من السير » (deilia) و « عدم السير » (an-ia) .

٦١ — ويتركب اسم أوزيريس من كلمتى « هوسيون » (hosion) (أى تقى) ، و « هيرن » (hieron) (أى مقدس) ، فهو العامل المشترك بين الأشياء التى فى السماء ، والأشياء التى فى العالم السفلى (هاديس) ، ومن هنا اعتاد القدماء تسمية هذه « هيرا » (المقدسة) ، وتلك « هوسيا » (التقية) ، ولكن ذلك الذى يظهر الأشياء السماوية ، والذى هو سبب الأشياء المتسامية يسمى أحيانا أنوبس ، وأحيانا أخرى هرمانوبس ، لأنه ينتمى من ناحية إلى الأشياء العليا ، ومن ناحية أخرى إلى الأشياء الدنيا . وهذا هو السبب الذى من أجله يقرب المصريون له مرة ديكا أبيض ، ومرة أخرى ديكا كركى اللون ، لأنهم يعدون الأشياء السماوية بسيطة وواضحة ، والأشياء الدنيا خليطة ومبرقشة . ولكن على الإنسان

ألا يدهش بأية حال من تحول هذه الألفاظ فى اليونانية . فى الحق هناك كلمات أخرى لاتعد ولا تحصى ، خرجت مع المهاجرين من بلاد اليونان ، وظلت حتى اليوم على قيد الحياة فى الخارج لدى الشعوب الأجنبية . فاذا مااستعاد الشعر اليوم بعضا منها ، فإن أولئك الذين يسمون أمثال هذه الألفاظ ألفاظاً غريبة يتهمونه باطلا باستعمال الأعجميات . ويقولون : إنه مازال مسطوراً فى المؤلفات المسماة «كتب هرميس عن الأسماء المقدسة» أن المصريين يسمون القوة المسيطرة على دوران الشمس هورس ، بينما يسميها الإغريق أبو للون ، وأن القوة المهيمنة على الهواء يسميها بعضهم أوزيريس وبعضهم الآخر سرابس ، وأن القوة المتحكمة فى الأرض ، والنبات تسمى أحيانا إيزيس[1] » — وأحيانا أخرى سوثس بالمصرية . وهذه معناها «الحمل» أو «الحبل» أو «أن تحمل أو تحبل» . من أجل هذا يسمى هذا النجم فى اليونانية مع التحوير فى نطق الكلمة «كوون» (kuon) أى كاب الجبار ذلك النجم الذى يخصونه لإيزيس . ومايجب على الإنسان ألبته أن يتمسك برأيه فيما يتعلق بهذه الأسماء ، بيد أنى أفضل أن أتنازل للمصريين عن اسم سرابس دون اسم أوزيريس ، لأنى أعد ذلك أجنبيا ، بينما أعد هذا يونانياً ، وأعدهما

(١) أثبت هبفنر هذه العبارة فى كتابه ص ٣٧

مع ذلك اسمين لإله واحد (لاغير) ، ولقوة واحدة (لاثانى لها)

٦٢ — ونفس الشىء ينطبق على المعتقدات المصرية ، فغالباً ما يسمون إيزيس باسم « أثينا » (نيت) ، ويعنى شيئاً مثل « أتيت من ذاتى » ، ويبين أن الحركة الدافعة لهذه الإلهة ناشئة من ذاتها . ويسمى توفون — كما ذكرنا من قبل — سيث[1] ؛ و بيبون (Bebon) ، و «سمو» (Smu) ؛ وهذه الأسماء تدل على التعويق العنيف الحائل ، أو الاعتراض أو الانقلاب . وفوق ذلك يسمون حجر المغنطيس « عظم هورس » ، والحديد « عظم توفون» كما يذكر مانثون ، فكما أن الحديد ينجذب أحيانا إلى الحجر (المغنطيسى) ويتبعه ، وأحيانا أخرى يبتعد عنه ويرد فى اتجاه مضاد ، كذلك تنجذب حركة العالم المنقذة الخيرة العاقلة نحو تلك القوة العاتية التوفونية ، وتجر نفسها نحوها ، وبالإقناع تلطفها ، ولكنها ترتد إلى نفسها ثانية عندما ترتطم بعائق ، وتغوص فى الشدائد .

ويقول يودكسوس أيضا : كان المصريون يروون عن زيوس فى أساطيرهم أنه إذ نمت ساقاه معاً ملتصقتين لم يستطع السير ، وبذلك ظل فى عزلة بسبب خزيه من أجل هذا . ولكن إيزيس شقتهما ، وبفصل هذين الجزأين من الجسم أصبح فى إمكانه السير الحثيث . ومعنى هذه الأسطورة أن عقل هذا الإله ، وفهمه اللذين ظلا غير مرئيين وغير مدركين لم يستطيعا أن يتقدما نحو التناسل إلا بفضل الحركة .

(١) فى الفصلين ٤١ و ٤٩

٦٣ — وتبين الصلاصل أيضا أن كل ما يوجد يجب أن يهتز أو يتصلصل ، وألا يكف عن الحركة ألبته ، بل يجب إذا ما أصابه النعاس ، والخمول أن يوقظ ، ويستثار إذ يقول المصريون : إنهم يبعدون توفون ، ويطردونه بالصلاصل ، وهم يقصدون بذلك أنه عندما يشل الفناء عمل الطبيعة ، ويقفه فإن الخلق يحرره ، ويبعثه من جديد بفضل الحركة . وبينما تكون الصلاصل ، وبخاصة فى جزئها العلوى ، مستديرة الشكل ، فإن هذا الجزء المستدير يحتوى على أربعة عيدان تتصلصل ، لأن ذلك الجزء من العالم الذى خلق ليفنى ثانية تحيط به دائرة القمر من جهة ، ومن جهة أخرى يتحرك وكل شىء فيه يتغير شكله بسبب العناصر الأربعة : النار ، والتراب والماء ، والهواء . وينحتون كذلك فوق منحنى الصلاصل تمثال قطة ذات رأس بشرى ، وفى أسفل أى تحت العيدان التى تصلصل وجه إيزيس على جانب ووجه نيفثوس على الجانب الآخر . ويرمزون بهذين الوجهين إلى الميلاد والممات (أى التناسل ، والنهاية) لأنهما تغيرات وحركات العناصر الأربعة . ولكنهم يرمزون بالقطه إلى القمر لبرقشة هذا الحيوان ، ونشاطه الليلى وخصبه . إذ يقال : إن القطة أول ماتلد تلد واحدة ثم مثنى ، وثلاث ، ورباع ، وخماس ، وهكذا دواليك بزيادة واحدة كل مرة حتى تلد سبع مرات ،

فيصبح مجموع ماتلد ثمانى وعشرين هريرة ، وهذا عدد أوجه القمر ، ومع أن هذا قد يبدو حديث خرافة إلا أن إنسانى عينى القطة يتسعان ويستديران عندما يكون القمر بدرا ، ويصغران ، ويلمعان بشدة عندما يتناقص هذا الجرم السماوى . وأخيراً يشيرون بملامح القطة البشرية إلى الذكاء ، والعقل اللذين يوجهان القمر فى تغيراته .

٦٤ — وصفوة القول : يستطيع الإنسان أن يقول على هذا النحو : ليس صحيحا أن يعد المرء أوزيريس أو إيزيس الماء أو الأرض أو الشمس أو السماء ، وتوفون النار والجفاف ، والبحر ، ولكننا بكل بساطة إذا ما نسبنا إلى توفون كل ماهو غير معقول ، وغير مرتب نتيجة إسراف أو نقص ، وإذا ما بجلنا وكرمنا ما هو مرتب وخير ونافع على أنه من عمل إيزيس ، وعلى أنه شكل أوزيريس ، وصورته ، وجوهره ، فاننا لانكون حينئذ مخطئين . وعلاوة على على هذا سنضع حدا لشكوك يودكسوس ، وحيرته فى تساؤله : كيف أن ديميتر لانرعى الغرام كإيزيس ؟ وكيف أن ديونوسوس لايستطيع أن يجرى النيل أو يحكم الموتى ؟ لأننا بقضية منطقية واحدة يمكننا أن نستنبط أن هذين الإلهين يهيمنان على كل جزء مما هو خير ، وأن كل ماهو جميل ، وخير فى الطبيعة يدين لهما بوجوده ؛ فبينما يهب الإله (أوزيريس) الأصول ، تتسلمها الإلهـة (إيزيس) ، وتوزعها .

٦٥ — وعلى هذا النحو سنناقش كثيراً من الآراء المبتذلة التى يقول بها الذين يجدون لذة فى ربط كل مايصيب هذه الآلهة بالتغيرات الجوية فى مختلف الفصول ، أو بنمو المحصولات ، والبذر ، والحرث ، والذين يقولون إن أوزيريس يدفن عندما يدفن القمح فى الأرض ويواريه التراب ، ثم يبعث ويظهر من جديد عندما يأخذ الزرع فى الانتاش . وهذا أيضا هو السبب الذى يقال من أجله : إن إيزيس عندما أدركت أنها حامل علقت فى جيدها تميمة فى اليوم السادس من شهر بابه (الموافق اليوم الثالث من شهر أكتوبر) ، وإنها ولدت فى الانقــلاب الشتوى (الموافق اليوم الثالث والعشرين من شهر ديسمبر الموافق اليوم السابع والعشرين من شهر كيهك) هاربوكراتيس قبل أوانه ، ناقص التكوين وسط باض الزهر ، ونتش النبات ، ومن أجل ذلك يقربون له بواكير العدس الناجم ، ويحتفلون بأعياد ميلاده عقب الاعتدال الربيعى (أى بعد اليوم الحادى والعشرين من شهر مارس) . فإذا ماسمع العامة ذلك ، فإنهم يغتبطون له ، ويصدقونه لأنهم يستنبطون تفسيراً صادقاً لما يألفونه ويوجد بينهم .

٦٦ — وليس عليهم فى ذلك غضاضة إذا ما احتفظوا لنا أولا بآلهتنا التى يشترك الشعبان فيها ، ولم يجعلوا منها ملكا خاصاً للمصريين ، ومن ثم لم يجعلوا هذه الأسماء وقفا على النيل وحده ، ولا تلك الأرض التى يرويها ، ولم يزعموا أن المناقع ، وأزهار البشنين من

صنع هذه الآلهة فحسب ، ولا غضاضة أيضا إذا لم ينكروا الآلهة العظام على غيرهم من البشر ممن ليس عندهم نهر كالنيل ، أو مدن مثل بوتو ، وممفيس . فإيزيس على وجه خاص ، وبطانتها من الآلهة تمتلكهم كافة الشعوب وتعرفهم مع أنهم تعلموا منذ زمن ليس بسحيق أن يطلقوا على بعضهم تلك الأسماء المألوفة لدى المصريين ، ولكنهم منذ البداية كانوا يدركون قوة كل منهم ، ويبجلونها . وثانيا — وهذا أهم — إذا هم لم ينتبهوا انتباها خاصا ، ولم يحذروا من أن يستأصلوا فى غفلتهم كل الاشياء المقدسة ، ويصفوا بها الرياح ، والأنهار ، وحبوب القمح ، والمحصولات ، ومصير الأرض ، واختلاف الفصول مَثلهم فى ذلك كمثل الذين يسمون الخمر ديونوسوس ، واللهيب هيفايستوس . ويقول كليانثيس فى موضع ما : إن نسمة الهواء التى تحمل ، وتسرى خلال المحصولات ثم تموت (فيها) تسمى پرسيفونا . وقد قال أحد الشعراء فى كلامه عن الحصّاد :

« وعند ما يبتر الفتيان أوصال ديميتير »

فهؤلاء الأشخاص لا يختلفون ألبته عن أولئك الذين يعدون القلاع ، والحبال ، والأناجر (١) ربّاناً ، واللّحمة والسّداة نسّاجاً ،

(١) جمع أنجر : وهو مرساة السفينة ، والمرساة التى ترسى بها السفينة تسميها الفرس لنكر . مختار الصحاح ، مادة — ر س ا . ويلاحظ أن معناها بالإنجليزية (anchor) . ولعل أصلها يونانى أنكرا (anchora) .

والقدح أو شراب الشهد أو عصيدة نطاسيا . إنهم يخلقون فى الناس آراء مخيفة فيها إلحاد إذ يضفون أسماء الآلهة على أشياء لا حس لها ، ولا روح ، يفنيها البشر بالضرورة لحاجتهم إليها ، واستعمالهم إياها . إذ يستحيل على الإنسان أن يعتبر مثل هذه الأشياء آلهة .

٦٧ — فليس الله عديم العقل أو الروح ، أو خاضعاً للبشر . ومن أجل هذه الأمور سالفة الذكر أدخلنا فى عداد الآلهة تلك الكائنات التى تستغل هذه الأشياء ، وتهبها إيانا ، وتقدمها لنا بوفرة على الدوام . ونحن نرى أن هؤلاء الآلهة يختلفون باختلاف الأمم ، أو أن منهم آلهة أعجميين ، وآلهة يونانيين ، أو آلهة جنوبيين ، وآلهة شماليين ، بل كما أن الشمس ، والقمر ، والسماء ، والأرض ، والبحر ملك مشاع بين الناس جميعاً ، وقد سُميت بأسماء مختلفة عند مختلف الأمم ، كذلك يوجد أيضاً عقل (لوجُس) إلهى واحد فحسب ينتظم كل هذه الأشياء ، وعناية واحدة لا تُغير تحكمها ، وواجبات تؤدى ، وقوة تسيطر على كل شيء ؛ وظهرت عند مختلف الأمم ضروب من التكريم والتسميات تتفق وعاداتها . واستخدم الإنسان رموزاً مقدسة ، بعضها غامض ، وبعضها الآخر واضح ، توجه الفكر إلى المسائل المقدسة ، وإن لم يخل ذلك من خطورة ، فَضَلّ بعضهم سواء السبيل ، وهوى فى الخرافة ، بينما وقع بعضهم الآخر ، وهم غافلون ، فى هوة الإلحاد ، بينما كانوا

يحاولون الفرار من الخرافات كأنها مستنقع كريه .

٦٨ — ولذلك يكون من الضرورى قبل كل شيء عند دراستنا هذه الأمور أن نأخذ بالمنطق الذى ينبع من الفلسفة ، وأن نتأمل كل شيء من ذلك الذى يُقال ويُعمل حتى لا نخطىء بأن نرى رأياً مخالفاً فى الأمور التى أقرّتها العادات إقراراً صحيحاً ، والتى تتعلق بالقُرَب والأحفال كما يقول ثيودوروس : إنه كان يقدم الكلمة الطيبة بيده اليمنى ، فكان بعض المنصتين إليه يتناولونها بيدهم اليسرى . فإن الحقيقة القائلة بأنه يجب أن يُرد كل شيء إلى العقل يمكن الإنسان أن يدركها من تلك العادات ذاتها : فهم فى اليوم التاسع عشر من الشهر الأول (شهر توت الموافق اليوم السادس عشر من سبتمبر) يحتفلون بعيد هرميس (أى تحوتى أو توت) فيأكلون شهداً ، وتيناً ، ويقولون عندئذ : « الحقيقة شيء حلو » ، وإن التميمة التى تعلقها إيزيس كما يروى ، حول جيدها معناها : « الصوت الحق » . ويجب ألا نعد هاربوكراتيس إلهاً ناقصاً ، وطفلا ، أو إلهاً يقى الخضر[1] ، بل راعياً ومصوباً للأحكام السريعة غير الناضجة التى يصدرها الناس عن الآلهة . وهذا هو السبب الذى من أجله يجعل هذا الإله إصبعه على شفتيه إشارة إلى التحفظ فى الكلام والصمت . وعندما يقدمون له فى شهر مسرى قرباناً من الخضر يقولون : « اللسان

---

(١) فى قراءة أخرى « حبة تنمو »

حظ ، اللسان مصير » . ويقولون : ومن بين جميع نبات مصر تُقدس شجرة « البرسيه » على وجه خاص لهذه الإلهة (إيزيس) ، لأن ثمرتها تشبه القلب ، وورقتها اللسان . فما من شيء يمتلكه الإنسان أقدس من المقدرة على التفكير[1] ، وخاصة التفكير فى الآلهة . وما من شيء أيضاً أقوى منه أثراً فى جلب سعادته . ومن أجل هذا نوصى كل من يأتى هنا (فى دلفى) ليستعلم الغيب أن يفكر تفكيراً دينياً ، وأن يتكلم كلاماً حسناً . ولكن جمهور الناس يسلكون مسلكا مضحكا عند ما يطلبون أول الأمر فى مواكبهم ، وأحفالهم أن يتكلم الإنسان كلاماً حسناً ، ثم تصدر عنهم بعد ذلك أضل الأحاديث ، وأخش الأفكار عن الآلهة .

٦٩ — ولكن ما موقف الإنسان إزاء الطقوس الكئيبة المقبضة الحزينة ، إذا لم يكن من اللائق التخلص مما فرضته علينا العادات ، ولا بلبلة الآراء بشأن الآلهة ، وتشويشها من جراء مزاعم باطلة ؟ إذ تحدث عند الإغريق أيضاً أشياء كثيرة تشبه ما يعمله المصريون فى أعياد إيزيس ، ويأتونها فى نفس الموعد تقريباً : فالنساء فى أثينا يصمن وهن جالسات على الأرض فى أعياد « التيسموفورياى » ، وأهل بؤوتيا يحركون هياكل ديمتير إلهة الحزن ، ويسمون هذا العيد « عيد الأتراح » ، لأن ديمتير تحزن على ابنتها

(1) ترجمة أخرى « على الكلام » لأن للكلمة اليونانية هذين المعنيين .

لنزولها (إلى مملكة هاديس أو پلوتون) . وإن هذا الشهر الذى يتفق وارتفاع برج الثريا هو شهر البذر الذى يسميه المصريون هاتور (اكتوبر — نوفمبر) ، والأثينيون پوأنپسيون ، وأهل بؤوتيا دماترپوس . ويروى ثيوپومپوس عن القاطنين ناحية الغرب أنهم يعدون الشتاء كرونوس . وعلى هذا النحو من التسمية يعدون الصيف أفروديتا والربيع پرسيفونا ، وأن من كرونوس ، وأفروديتا وُلدت جميع الأشياء . ولكن الفريجيين يعتقدون أن الإله ينام فى الشتاء ، ويستيقظ فى الصيف ، وينشدون له أناشيد البجبجة فى الشتاء لينام ، ويغنون له فى الصيف ليوقظوه على طريقة عبدة باخوس . ويزعم الپفلجونيون أنه يُصفَّد بالأغلال فى الشتاء ويُحبس ؛ ولكنه يطلق سراحه فى الربيع ، ويستعيد حركته ، وحريته .

٧٠ — وإن هذه الفترة من الزمن (التى يحدث فيها كل هذا) تجعلنا الآن نرتاب فى أن هذه الأعياد الكئيبة تحدث نظراً لاختفاء المحصولات والثمار التى لم يكن القدماء يعدونها آلهة ، بل هبات من الآلهة ضرورية ، وهامة لحياة لم تعد حياة وحشية ، أو حيوانية . وفى هذه الفترة التى كانوا يرون فيها الثمار تختفى تماماً من الشجر ، وتتوارى عن الأنظار ، بينما كانوا يزرعون ثماراً أخرى بطريقة حقيرة وضيعة ، وهم يسفنون وجه الأرض بأيديهم ، ويسوونها ،

ويودعونها (أى البذور) إياها غير موقنين من ظهورها ، أو إثمارها مرة أخرى — فى هذه الفترة — كانوا يقومون بكثير من الأعمال كأنى بهم فى جنازة وانتحاب . وكما نقول عمن يشترى مؤلفات أفلاطون : « إنه يشترى أفلاطون » ، وعمن يمثل مقطوعات مناندروس الشعرية : « إنه يمثل مناندروس » ، كذلك لم يترددوا فى أن يطلقوا على أعطيات الآلهة ، ومنتجاتها أسماء الآلهة أنفسهم إذ أنهم يكرمونها ، ويتجهون لها لحاجتهم إليها . ولكن الخلف فهموا هذا فهما كله غباء ، وسخف ، فنسبوا إلى الآلهة مصير المحصولات ، ولم يسموا ظهور الحاجات ، واختفاءها ميلاد الآلهة ، ووفاتهم فحسب ، بل كانوا يصدقون ذلك أيضا . فأفعموا أذهانهم بآراء خاطئة فاسدة مشوشة على الرغم من أن خطأ هذه الأمور شاخص أمام أعينهم . لذلك كان كسينوفانيس الكلوفونى محقا عند ما وصف المصريين بقوله : إنهم إذا ما اعتقدوا فى الآلهة فما ينبغى لهم أن يبكوها ، وإذا ما بكوها فما ينبغى لهم أن يعدوها آلهة (لا لأنه كان يهزأ بورعهم[١]) ، بل لأن من المضحك أن يتوسلوا بالدموع لكى تظهر المحصولات وتنضج من جديد ، ثم يستهلكونها .

---

(١) أثبت هبفنر هذه العبارة فى المجلد الثانى من كتابه ، ص ٤٣

٧١ — ليست المسألة هكذا ، بل إنهم يندبون فى واقع الأمر محصولاتهم ، ويدعون الآلهة الذين يخلقونها ويقسمونها ، أن يجودوا بمحصولات جديدة ، ويخرجوها غير تلك التى تستهلك . ومن ثم كان الاعتقاد السائد بين الفلاسفة — وما أصدقه — هو أن أولئك الذين لم يتعلموا كيف يفهمون الألفاظ فهما صحيحا غير قادرين على استعمال الأشياء استعمالا صحيحا ، كأولئك الإغريق الذين لم يتعلموا ولم يتعودوا أيضا أن يسموا التماثيل من البرونز أو الحجر والصور رسوما للآلهة ، وصوراً لتكريمهم ، بل دعوها الآلهة أنفسهم ، ثم بلغت بهم الوقاحة أن قالوا : إن لاخاريس قد خلع عن أثينا ثيابها ، وإن ديونوسوس قد مزّق غدائر أپوللون الذهبية ، وإن زيوس (چوپتر) كاپتوليوس قد أحرق فى الحرب الأهلية وأبيد ، وهم لا يفطنون فى ذلك أنهم إذ يشيرون إلى هذه الأسماء يقبلون الآراء الفاسدة ، ويسيرون عليها . ولكن كان هذا إلى حد كبير سلوك المصريين فيما يختص بهذه الحيوانات (المقدسة) التى يكرمونها ، ويصيب الأغريق فى هذه الأمور إذ يقولون ويعتقدون أن الحمامة حيوان أفروديتا المقدس ، وأن الثعبان حيوان أثينا المقدس ، وأن الغراب حيوان أپوللون المقدس ؛ وأن الكلب حيوان أرتميس ، كما يقول يوريبيديس :

« ستصبح صورة هيكاتا السنية (أى) كلبا »

بيد أن جمهور المصريين (على عكس الأغريق) عندما كانوا يبجلون الحيوانات ذاتها ، ويعاملونها على أنها آلهة لم يملأوا طقوسهم الدينية بالمضحكات فحسب ، فهذا أقل الشرور لهذا السخف ، بل نشأ من هذا هراء خطير يهوى بالضعاف والسذج إلى درك الخرافة المتطرفة ، ويدفع بأجسر الناس وأشجعهم إلى الإلحاد والتفكير البهيمى . فليس من غير اللائق إذاً أن نسرد فى شىء من التفصيل مايبدو من حقائق فى هذه الأمور .

٧٢ — إن الفكرة القائلة بأن الآلهة غيروا أنفسهم إلى حيوانات خوفا من توفون ، وتخفوا فى أجساد آباء منجل والكلاب ، والصقور تفوق كل زيف ، وكل خرافة . وإن تلك الفكرة القائلة بأن أرواح الموتى ، مادامت على قيد الحياة ، تولد من جديد فى هذه الحيوانات لا يمكن تصديقها أيضا . أما أولئك الذين يرغبون فى أن يعينوا لهذا الأمر سببا سياسيا محضا فيحكى بعضهم أن أوزيريس فى حملته الكبرى قد قسم قواته أقساما كثيرة يسميها الإغريق فرقا ، وفيالق ، وقد أعطاها جميعا بيارق فى أشكال الحيوانات التى أصبح كل منها مقدسا جديرا بالتكريم لدى أقارب الذين انضموا (تحت لوائه) . ولكن يحكى بعضهم الآخر أن الملوك اللاحقين ، لكى يلقوا الرعب فى قلوب أعدائهم ، كانوا يظهرون فى القتال متقنعين بأقنعة ذهبية وفضية على

شكل رءوس الحيوانات المفترسة . ويروى غيرهم أن واحدا من هؤلاء الملوك الماكرين الحاذقين ، عندما لاحظ أن المصريين كانوا بطبيعتهم طائشين ومتقلبين وثائرين ، وأنهم كانوا مع ذلك ذوى شوكة لا تنكسر ، وعزيمة لا تفل بسبب عددهم الغفير إذا ما اتحدوا ، ورسموا الخطة ، عندئذ علمهم هذه الخرافة ، وبذر بينهم فرصة أبدية للشقاق المستمر بأن أمر كل جماعة من الناس أن يكرموا نوعا من الحيوانات ويقدسوه . وكانت هذه الأنواع تضمر الخصام والعداء بعضها لبعض ، وكان بعضها بطبيعته يأكل ما لا يأكله الآخر . وكانت كل جماعة من الناس تذود عن حيواناتها الخاصة وتحتد إذا ما أسىء إليها فساقتها عداوة الحيوانات دون ما فطنة إلى أن تتناصب العداء ، وتتخاصم . وبذلك يكون أهل مدينة الذئب لوكوبوليس حتى اليوم هم الذين يأكلون من دون المصريين الشاة ، إذ أن الذئب الذى يعبدونه إلها يأكلها أيضا . ولما كان أهل مدينة الكلب « كونوبوليس » يأكلون سمك الأكسورنخوس (أى القنوم) فإن أهل مدينة أكسورنخوس يصيدون حتى يومنا هذا كلبا ، ويعترونه ، ويلتهمونه كأنه لحم القربان . ومن ثم تحارب أهل هاتين المدينتين وتخاصموا ، فاقتص الرومان منهم وأعادوهم إلى النظام .

٧٣ — ويحكى كثيرون أن روح توفون نفسه مقسمة بين هذه

الحيوانات . ويبدو أن هذه الأسطورة تعنى أن كل طبيعة غير عاقلة وضارية هى جزء من الجن الخبيث . ولكى يهدئوا هذا (الجن الخبيث) ويلطفوه ، كانوا يعنون بهذه الحيوانات ويكرمونها . فإذا نزل محل عنيف شديد يجلب معه أمراضا فتاكة ، أوكوارث أخرى غيرعادية ، وغريبة فإن الكهان يسوقون جانبا بعض هذه الحيوانات التى يكرّمونها ، ويهددونها ، ثم يرعبونها بعد ذلك فى الظلام ، والصمت العميق . فإذا ما استمر الوباء قدسوها ، وعتروها كأنى بها وسيلة لعقاب هذا الجن ، أو كفارة كبرى فى أكبر بلية . ولقد روى مانثون أن أشخاصاً يسمون التوفونيين كانوا يحرقون أحياءً فى مدينة إيليثويا ، ويُذرى رمادهم بمذراة ويُبعثر . وكان هذا يؤدى علانية فى زمن معين ، أى فى فترة الأيام الكلبية ؛ غير أن قربان تلك الحيوانات المكرمة كان سراً من الأسرار ، وكان يحدث فى فترات غير مضبوطة حسب الظروف (الطارئة) لا يعرفه عامة الشعب ، اللهم إلا عند ما كانوا يشيعون جنازة (العجل آپس) ، وحينئذ يأتون علناً ببعض الحيوانات المقدسة ، ويلقون بها فى قبره أمام الملأ اعتقاداً منهم أنهم بهذا يوجعون توفون ، ويحدون من اغتباطه (بموت آپس) ، ويبدو أن آپس ، وقليلا من الحيوان غيره ، مقدس لأوزيريس ؛ أما توفون فيخصونه بمعظم الحيوانات . وإذا صح هـذا الوصف فإنه يعنى أن المصريين كانوا يتبعون هذه

الطقوس عند دفن الحيوانات التى يعترفون بها جميعاً ، ويجلونها كالطائر أبى منجل ، والصقر ، وكريبريس ، وآپس ذاته ، ومنديس ، إذ هكذا يسمى الماعز فى مدينة منديس .

٧٤ — تبقى بعد ذلك الفائدة (من عبادة الحيوانات) ، ورمزيتها ؛ فيشترك بعضها فى إحدى الصفتين ، ويشترك كثير منها فى هاتين الصفتين . ومن الواضح أن المصريين أخذوا يكرمون البقرة ، والشاة ، والفأر الفرعونى لحاجتهم إلى هذه الحيوانات ولنفعها . وكذلك يكرم أهل ليمنوس القنبرة المتوجة لأنها تبحث عن بيض الجراد وتهشمه ؛ ويكرم أهل ثساليا اللقلق لأن هذا الطائر يظهر عند ما تُخرج الأرض من جوفها أسراباً من الثعابين ، فيبيدها على بكرة أبيها . ومن أجل ذلك سنوا قانوناً يحكم على كل من يقتل لقلقاً بالنفى من البلاد . وكان المصريون يكرمون أيضاً الصّل ، وابن عرس ، والُجعَل ، لأنهم كانوا يعتقدون أنهم يلمحون فيها صوراً غامضة لقوة الآلهة كصورة الشمس فى قطرات المطر . وما زال حتى اليوم كثير من الناس يعتقدون ويحكون أن بنات عرس تحملن من الأذن ، وتلدن من الفم ؛ ويشبه هـذا توليد الكلام . وليس بين الجعلان أنثى واحدة ، فكل الجعلان ذكور فحسب تفرز منيها فى شىء مكور تدحرجه بأن تدفعه إلى الخلف مَثَلها فى ذلك كمثل الشمس تدير السماء فى اتجاه مضاد (لجريانها) ، بينما هى تجرى

من الغرب إلى الشرق . ويشبهون الصل (الكوبرا) بالنجم لأنه لا يهرم ، ولأنه يتحرك فى سهولة ومرونة بلا أطراف .

٧٥ – حقاً لم يكرم التمساح دون أن يكون لتكريمه سبب معقول ، بل يقال : إنه صورة الله ، لأنه الحيوان الوحيد الذى لا لسان له ولأن العقل الإلهى (أو الكلمة الإلهية) لا يحتاج إلى صوت .

« بينما يسير فى الدروب الساكتة يحكم بالعدل بين فناة البشر » .

ويقولون : إن التمساح هو الحيوان المائى الوحيد الذى يغطى عينيه غشاء رقيق شف يتدلى من جبهته حتى إنه يستطيع أن يرى دون أن يُرى ، وهذه مزية الإله الأول أيضاً . وحيثما تضع أنثى التمساح بيضها تدرك أنه المكان الذى يحد فيضان النيل ، إذ لما كانت الإناث لا تستطيع أن تبيض بيضها فى الماء وتخشى مع ذلك أن تبيضه بعيدا عنه فإنها تتنبأ بما سيكون عليه مستوى الماء بالضبط ، حتى إنها تستغل النهر مرشداً عند وضع البيض ، ومع ذلك تحتفظ ببيضها جافاً غير رطب عند الفقس . وهى تبيض ستين بيضة ، وتفقسها بعد أيام تساويها عدداً ، وتعيش التماسيح التى هى أكثر التماسيح تعميراً ذلك العدد من السنين . والعدد ستون أول المقاييس عند الذين يهتمون بالأجرام السماوية (الفلك) .

ومن بين الحيوانات التى يكرمونها للسببين معاً الكلب ، وقد تكلمنا عنه آنفاً . أما الطائر أبو منجل الذى يقضى على الزواحف الخطيرة فالمصريون أول من علموا الناس استعمال المطهرات الطبية

إذ لاحظوا أنه يحقن نفسه بنفسه ويتطهر . إن أشد الكهان إخلاصاً يُحضرون طهورهم عند التطهر من مكان يكون أبو منجل قد ارتوى منه : لأنه لا يشرب ماء يكون غير صحى ، أو آسناً ، ولا يدنو منه ألبته . وإنه يكون بقدميه ، عند ما يفتحهما بنسبة إحداهما للأخرى ، وبنسبتهما لمنقاره ، مثلثاً متساوى الأضلاع . وهو فى تنوع ريشه كذلك واختلاط أسوده بأبيضه يشبه القمر فى تربيعه الأول . ولا يعجبن الإنسان إذا طرب المصريون لهذا التشابه الطفيف . فقد استعمل الإغريق أيضاً كثيراً من أمثالها فى تصوير آلهتهم ، ونحت تماثيلهم . فكان يوجد فى كريتا (كريت) تمثال لزيوس بلا أذنين ، إذ لا يليق بسلطان الأشياء ، وربها جميعاً أن ينصت لأحد . وقد جعل فيدياس فى جانب تمثال أثينا ثعباناً ، وسلحفاة فى جانب تمثال أفروديتا فى مدينة إيليس ليبين أن العذارى فى حاجة إلى الحماية ، وأن الخلود إلى البيت ، والسكون يناسبان المتزوجات . وإن رمح بوسيدون ذا الثلاث الشعب رمز للإقليم الثالث من العالم الذى يتحكم البحر فيه ، إذ جُعل بعد السماء والهواء فى المرتبة . ومن أجل ذلك سموا أمفتريتا ، والتريتونيس بأسمائهم . ولقد أضفى أتباع فيثاغورس أيضاً على الأعداد والأشكال (الهندسية) أسماء الآلهة : فأطلقوا على المثلث المتساوى الأضلاع اسم أثينا التى ولدت من الرأس (أى من رأس زيوس) ، لأن

الأعمدة الساقطة من زواياه (أو رؤوسه) الثلاثة على أضلاعه تقسمه « بالتساوى » . وكانوا يسمون أبوللون بالآحاد ، لأنه لا يقبل الكثرة ، ويثبت فردية الوحدة ؛ وكانوا يسمون الثنائى النضال والجسارة ؛ وكانوا يسمون الثالوث العدالة ، لأنه بينما يحدث الظلم والتظلم من التفريط أو الإفراط ، تولد العدالة وسطهما من أجل مساواتها . أما العدد المسمى الرباعى المقدس ، أى ستة وثلاثين ، فقد كان — كما هو معروف عنه — أغلظ الأيمان ؛ وكانوا يطلقون عليه لفظ « العالم » إذ أنه مكون من مجموع الأعداد الأربعة الزوجية الأولى ، والأعداد الأربعة الفردية الأولى معاً .

٧٦ — فإذا لم ير أشهر الفلاسفة الذين يلاحظون سر معنى الألوهية فى الأشياء عديمة الروح وعديمة الجسد أن من اللائق إغفال شىء من ذلك ، وإهماله فإنى أعتقد أن علينا احترام تلك الخواص التى توجد فى تلك الطبائع التى لها إدراك ، وروح ، وشعور ، وخلق . وليست المسألة أننا نكرم هذه الأشياء (نفسها) ، بل إننا نكرم عن طريقها الألوهية ، ما دامت هى بطبيعتها أشد المرايا صفاء لإظهار الألوهية . لذلك يجب علينا أن نعتبر هذه الأشياء بمثابة أداة ، أو وسيلة (فى يد) الإله الذى ينظم كل شىء ، وأن نعتقد أن ليس ثمت شىء بلاروح يكون أرقى من شىء ذى روح ، وأن شيئاً لا يدرك يكون أرقى من شىء يدرك — كلا ! مهما جمع

الإنسان ما فى العالم من ذهب ، وزمرد (لصنع تماثيل الآلهة) . فلا يوجد الإله فى الألوان ، أو الأشكال ، أو السطوح المجلية ، بل إن جميع الأشياء التى ليس لها نصيب من الحياة ، أو التى لا تستطيع أن تسهم فيها يكون حظها من التكريم أقل من حظ الموتى . أما تلك الطبيعة التى تحيا ، وترى ، وتملك فى ذاتها مصدر الحركة ، وتعرف أن تميز ما يخصها مما يخص غيرها فتجذب إليها فيضاً من الكائن الجميل ، وبعضاً من الكائن العاقل « الذى يرشد كل شىء » كما يقول هيراكليتوس . ولذلك لم تمثل الألوهية فى هذه الحيوانات أسوأ من تمثيلها فى قطع البرونز ، أو الحجر التى يسرى عليها الفناء ، والمسخ (كالحيوانات المقدسة) ، وتفتقر بطبيعتها إلى كل إدراك ، وفهم . من كل ما قيل عن الحيوانات المكرمة أرانى موافقاً أشد الموافقة على هذا (القول) .

٧٧ — أما عن الملابس فملابس إيزيس ذات ألوان مبرقشة ، لأن سلطانها يمتد على المادة التى يمكنها أن تصير أى شىء ، وتستقبل أى شىء من نور ، وظلام ، ونهار ، وليل ، ونار ، وماء ، وحياة ، وممات ، وبداية ، ونهاية ؛ أما لباس أوزيريس فخال من الظل ، والبرقشة ، بل له لون واحد يشبه النور ، لأن المبدأ لا يمتزج بشىء مطلقاً ، ولأن (الكائن) الأول المدرك بالعقل ليس بخليط لذلك كانوا يخلعون عن أوزيريس جلبابه ، ويضعونه جانباً دون أن يرى

أو يمس (بعد ذلك) ويحرسونه . أما ملابس إيزيس فكانوا يستعملونها كثيراً ، لأن الأشياء المستعملة المدركة بالحس ، والقريبة منا ، تقدم المظاهر العديدة لذاتها ، والمناظر الكثيرة التى تتغير بشتى الطرق . ولكن إدراك المدرك العقلى الطاهر البسيط الذى يشع فى الروح كوميض البرق يمنحها فرصة واحدة لرؤيته ولمسه ، فرصة واحدة فحسب . ومن أجل هذا يسمى أفلاطون وأرسطو هذا الجزء من الفلسفة « الفلسفة التأملية ، أو الصوفية » ، إذ أن أولئك الذين يوغلون عن طريق العقل وراء هذه المسائل الوهمية المشوشة يطفرون نحو هذا الكائن الأول البسيط المجرد (أى غير المجسد) ، فإذا ما أدركوا ، على نحو ما ، تلك الحقيقة الصرفة التى تكتنف هذا (الكائن) الأول ، اعتقدوا أنهم قد بلغوا ذروة الفلسفة .

٧٨ — وفكرة أخرى يفسرها الكهان فى الوقت الحاضر فى احتراس شديد ، وسر بالغ ، وحذر كاف فحواها أن هذا الإله (أوزيريس) هو حاكم الموتى ومليكهم ، إذ أنه ليس سوى ذلك الإله الذى يسمى عند الإغريق هادس ، وبلوتون ، وهو ما يحير ألباب عامة الناس الذين لا يعرفون الحقيقة فيتوهمون أن أوزيريس الورع المقدس يقطن فعلا فى الثرى ، وتحت الثرى حيث توارت جثث الذين بلغوا على ما يعتقد الناس آخر العمر . ومع ذلك فقد

أبعد هو نفسه عن الأرض غير مشوب ، وغير مدنس خلوا من كل مادة عرضة للفناء والموت . وما دامت أرواح البشر فى هذا العالم قد أصبحت رهينة الجسوم والشهوات ، فلن تستمتع بصحبة هذا الإله إلا بقدر ما تتحسسه روحياً عن طريق الإدراك الذى تسمح الفلسفة به ، كما تتحسس شبحاً غير واضح فى المنام . ولكن عندما تتحرر هذه الأرواح من الجسوم ، وتصعد إلى الملكوت غير المادى ، وغير المبصر ، وغير الشهوانى ، الطاهر المقدس يصبح هذا الإله مرشدها ، ومليكها الذى ترنو إلى جماله ، وتتطلع إليه دون أن تشبع ، ذلك الجمال الذى يعجز البشر عن وصفه . وبه تهيم إيزيس أيضاً على الدوام ، كما تروى القصة القديمة ، وتتعقبه ، وتعيش معه ، وتملأ بالجمال والخير كل شىء يتكاثر على الأرض .

وهكذا تشتمل هذه الرواية على أكثر التفسيرات ملاءمة لطبيعة الآلهة .

٧٩ — وإذا وجب على الكلام الآن ، كما وعدت ، عن قرب البخور التى كانت تقرب كل يوم فعلى المرء أولا ، وقبل كل شىء أن يدرك أن هؤلاء القوم (فى مصر) يهتمون دائماً اهتماماً بالغاً بالشئون الصحية ، وأن اهتمامهم بالصحة عند القيام بالطقوس الدينية وخاصة عند التطهر ، وفى نظام الأكل لا يقل شأنا عن اهتمامهم بالتقوى والورع ، إذ كانوا يرون أن من غير اللائق أن يكرموا

ما هو طاهر ، وما هو خلو من كل رجس ، وهم بأجساد أو أرواح معتلة مريضة . ولما كان الهواء الذى ننتفع به أكبر انتفاع ، والذى نعيش به غير ثابت الحال والتركيب دائماً ، إذ يتكثف فى الليل ، ويثقل على الجسم ، ويدفع بالروح إلى الهم والضجر كأنى بها فى غيوم الهموم ثقيلة ، لذلك كانوا بمجرد استيقاظهم يحرقون صمغاً على موائد القربان ليجددوا الهواء ، ويطهروه برائحة الصمغ ، وبذا ينبهون الروح المضناة التى فطرت مع الجسد لأن هذه الرائحة تحتوى على شىء حريف منه .

ثم إنهم عندما كانوا يلاحظون عند الظهيرة أن الشمس تخرج بكل قوتها من جوف الأرض أبخرة كثيرة ثقيلة ، وتخلطها بالهواء كانوا يحرقون الصبر (على موائد القربان) ، إذ أن الحرارة تحلل الكتل المعتمة المنتفخة ، التى تجمعت فى الجو المحيط وتشتها . وفى الحق يبدو أن الأطباء أيضاً يضعفون من أثر الأوبئة المعدية بإذكائهم ناراً حامية ، لأن هذه النار تلطف الهواء . ويكون لهذا التلطيف أثر أكبر إذا ما أحرقوا عودا كالسر ، والعرعر ، والصنوبر . وعلى كل حال يقولون : إن أكرون ذلك الطبيب الذى كان فى أثينا قد نال شهرة عظيمة إذ وصف للناس فى أثناء الوباء المهول إشعال نار بجوار مرضاهم ، وبهذا شفى منهم عدداً غير قليل . ويقول أرسطو : إن الأبخرة الزكية التى تفوح من الطيوب ،

والأزهار ، والمروج لا تساعد على الصحة (والعافية) فحسب ، بل (تعمل) على السرور أيضاً ، لأنها بدفئها ، وخفتها تريح الدماغ الذى هو بطبيعته بارد متجمد . فإذا كان الصبر عند المصريين يطلق عليه حقاً لفظ «سال» (أو بال) [١] وأن هذا اللفظ إذا ترجم كان معناه « تبديد البطنة » أو « إزالة السمنة » فإن ذلك ينهض شاهداً جديداً على الغرض المذكور من استعماله .

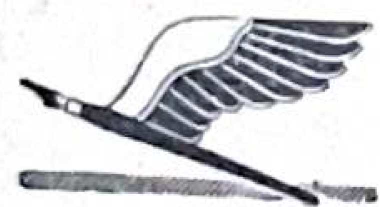
٨٠ — إن « كفى » (kuphi) مركب من ستة عشر عنصراً مزيجة : شهد ، ونبيذ ، وزبيب ، و « كياب » (cyperus) ، وصمغ ، وصبر ، وخشب الورد ، ونبات سيليوس (الكرفس الجبلى) ، ومصطكا ، وقفر اليهودية (زفت) ، وعود ، وعرق المسهل ؛ ويضيفون إلى هذه نوعين من العرعر يسمون أحدهما الكبير وهو الحبهان ، والآخر الصغير وهو الغاب . ولا تركب هذه العناصر اعتباطاً بل (تركب) بينما تتلى الكتب المقدسة على العطارين المحضرين ، وهم يمزجونها . أما ذلك العدد (ستة عشر) ، وإن بدا جليا أنه مربع المربع ، وأنه العدد الوحيد الذى يكون مربعاً طول محيطه يساوى مساحته ، ويستحق من أجل هذا الإعجاب ، فيجب أن يقال

(١) أنظر هبفنر ، المجلد الثانى ، ص ٥٠

(عنه): إن إسهامه فى الموضوع الذى نحن بصدده طفيف جداً. إلا أن معظم هذه المواد التى تدخل فى هذا المركب تبعث — من أجل احتوائها على خواص عطرية — بريح حلوة، وبخار مفيد يتغير الهواء بهما، ويكتسب الجسم الذى يستولى عليه شعور لطيف سار بسبب العبيق حالة مزاجية تجلب له الرقاد، وكذلك تقشع (هذه الأبخرة) هموم النهار الثقيلة وتحلها وكأنها العقد دون ما حاجة إلى بنت الحان. كذلك تصقل هذه الأبخرة ذلك الجزء (من الروح) ذا الموهبة الخيالية، وذا القدرة على تقبل صور الأحلام، فيصبح كالمرآة، وتجعله صافياً، شأنها فى ذلك شأن أنغام العود الذى اعتاد أتباع فيثاغورس أن يعزفوه (يستعملوه) قبل النوم، فكانوا على هذا النحو يزيلون بالسحر ويشفون ذلك الجانب الشهوانى غير العاقل من الروح. فالحقيقة أن الروائح المنبهة غالباً ما تعيد الإحساس المفقود، وغالباً ما تلطفه، وتسكنه عندما تسرى فيوضها فى الجسم كله بفضل صفاتها الأثيرية؛ وكقول بعض الأطباء: يتيسر النوم عندما يتسرب بخار الطعام فى الأمعاء فى لطف، ويسكنها، ويحدث فيها نوعاً من الدغدغة. ويستعملون «كنى» الآن شرابا، ومرهما فإذا ما شرب طهر الجوف، أما (إذا استعمل) مرهما فهو[1] كملين

(١) هنا ثمانية أحرف ناقصة من الأصل. أنظر هبفنر، المجلد الثانى، ص ٥١، هامش (١).

وفوق ذلك يكون الصمغ والصبر من عمل الشمس، إذ تفرزها الأشجار نتيجة للحرارة. ومن العناصر التى تكون «كنى» عناصر أخرى تشرح الصدر بالليل أكثر (منها بالنهار) أى تلك العناصر التى اعتادت أن تنمو فى الصرصر من الرياح، والظلال، والأنداء، والرطوبة، لأن ضوء النهار مفرد وبسيط، ويقول پنداروس: إن الشمس ترى من خلال الأثير المنعزل» بينما يكون هواء الليل مزيجاً، ومركباً من أضواء، وقوى كثيرة كأنها بذور تنصب من ذلك النجم فى (بقعة) واحدة. وهم على هذا النحو محقون إذ يحرقون هاتين المادتين: الصمغ، والصبر فى النهار، لأنهما شيئان بسيطان يخرجان من الشمس، أما ذلك الشىء («كنى») فيقربونه إذا ما جن الليل، لأنه مركب من عناصر تتصف بجميع الصفات المختلفة.



فهرست بأرقام الفصول وموضوعاتها

أسطورة أوزيريس فى الفصول ١٢ — ٢١

٢٠ تعدد أضرحة أوزيريس فى مصر . قبره فى فيلاى .

٢١ هل ضريح أوزيريس فى بوصير (بوزيريس) ؟ كيف تألقت أرواح الآلهة فى نجوم السماء .

تفسير يوأميروس لأسطورة أوزيريس

٢٢ الآلهة المصريون بشر ونجوم .

٢٣ مزاعم يوأميروس الباطلة عن الآلهة .

٢٤ بين البشر والآلهة .

التفسير الجنى

٢٥ ليس توفون ، وأوزيريس ، وإيزيس من الآلهة أو البشر ، بل هم من الجِنَّة .

٢٦ رأى الإغريق فى أنصاف الآلهة أو الجنة .

٢٧ كيف مزجت إيزيس الشعائر الدينية بأحداثها ، وكيف أصبحت هى وزوجها من الآلهة بعد أن كانا من الجنة . العلاقة بين سرابس ، وبلوتون .

٢٨ حلم بطلميوس المنقذ (سوتير)

٢٩ من هو سرابس ؟

٣٠ كيف كان المصريون ، وأتباع فيثاغورس يعاملون توفون ، والمخلوقات التوفونية ؟

٣١ عتر العجول المغر . مسألة الحمار . قصة الملك الحمار والعجل آپس .

التفسير الطبعى

٣٢ لغويات وأساطير عن البحر .

٣٣ أوزيريس مصدر الرطوبة والحياة ، وتوفون الجدب والموات ؛ وسواد مصر من سواد العين .

٣٤ هوميروس وطاليس أخذا عن المصريين فلسفة الماء الذى هو أصل كل شيء . هل اشتق اسم أوزيريس من طبيعة الرطوبة ؟

٣٥ بين أوزيريس وديونوسوس .

٣٦ عيد الإخصاب وعلاقته بالرطوبة ، والتناسل . كيف أصبح أوزيريس ابناً لزيوس .

٣٧ عود على بدء : لماذا اتحد أوزيريس بديونوسوس ؟ تفسير ذلك تفسيراً لغويا يونانيا .

٣٨ تفسير حياة أسرة أوزيريس تفسيرا طبعيا : تربة ، وماء ، وزرع ، وبشر .

٣٩ تفسير الأسطورة الأوزيرية تفسيراً جغرافياً .

٤٠ كيف يفسر بلوتارخوس عدم القضاء على توفون تفسيرا جغرافيا ؟ تكوين مصر الجغرافى .

التفسير الفلكى

٤١ كيف يفسر بلوتارخوس الأسطورة الأوزيرية تفسيرا فلكيا .

٤٢ التفسير الفلكى للأسطورة الأوزيرية : أوزيريس ، والقمر .

٤٣ التفسير الفلكى للأسطورة الأوزيرية : فيضان النيل (أى سيل أوزيريس والقمر .

٤٤ التفسير الفلكى للأسطورة الأوزيرية : وفاة أوزيريس ، وخسوف القمر . قصة أنوبس الكلب ، وذبح قمبيز للعجل آبس .

تفسير الأسطورة حسب مذهب الاثنينية

٤٥ فلسفة خلق الكون واجتماع الخير والشر فيه .

٤٦ الفلسفة الماجية أو الفارسية فى الخير والشر : فى النور والظلام .

٤٧ الفلسفة الماجية أو الفارسية فى الخير والشر : الصراع بينهما ، وانتصار الخير فى النهاية .

٤٨ فلسفة الخير والشر عند غير المصريين ، وعند مشاهير الفلاسفة

٤٩ فلسفة الخير والشر فى الطبيعة : تطبيقها على أوزيريس ، وتوفون : لماذا لم يقض على توفون تماما ؟ تفسير اسمى توفون « سيث » و « بون » .

٥٠ توفون فى صورة أغبى الحيوان ، وأشرسه : الحمار ، والتمساح ، وفرس النهر .

٥١ كتابة اسم أوزيريس بالعين ، والصولجان . لا تنسب الشمس لتوفون ، كما لا ينسب الجفاف للشمس ، بل تنسب الشمس لأوزيريس وينسب الجفاف لتوفون .

٥٢ علاقة أوزيريس وإيزيس ، وهورس بالشمس . لا علاقة لتوفون بالشمس .

٥٣ إيزيس مبدأ الطبيعة المؤنث تتوسط الخير ، والشر : أيهما تتقبل ؟ وأيهما تلفظ ؟ .

٥٤ فلسفة الوجود : تفسيرها تفسيرا أوزيريا . بين المادة والعقل .

٥٥ لماذا لم يقض على توفون قضاء مبرما ؟ تفسير الخسوف والكسوف .

٥٦ تفسير الوجود : العناصر الثلاثة المكونة للطبيعة الخيرة المقدسة ، وتطبيقها على الزواج ، والهندسة ، والحساب .
تفسير اسم « مين » وأسماء « إيزيس » .

٥٧ فلسفة أفلاطون فى خلق العالم مبنية على اقتران الرخاء بالشدة ، وخروج الشباب المتجدد منهما .

٥٨ دفاع بلوتارخوس عن المادة : يجب ألا نتصورها جسما عديم الروح . أمثلة .

٥٩ تفسير العلاقات بين إيزيس ، وأوزيريس ، ونيفثوس ، وتوفون تفسيراً طبيعياً .

٦٠ تفسير فلسفة الوجود المبنية على الحركة والسرعة تفسيرا أوزيريا. وتفسير اسم إيزيس تفسيراً لغوياً فلسفياً.

٦١ بلوتارخوس يستغل اللغة اليونانية فى تفسير أسماء آلهة المصريين وعقائدهم.

٦٢ تفسير فلسفة الوجود المبنية على الحركة والسرعة تفسيرا أوزيريا، وتفسير اسمى إيزيس وتوفون تفسيرا لغوياً فلسفيا (أنظر الفصل ٦٠)

٦٣ عود على بدء: تفسير فلسفة الوجود المبنية على الحركة «بالصلاصل»، (الشخاليل). هل للقطة صلة بالقمر؟

٦٤ فلسفة الخير فى الطبيعة الخير من صنع ايزيس وهو صورة أوزيريس.

٦٥ كيف يعقد بعض الناس الصلة بين فصول السنة والزراعة وبين الآلهة، وكيف يفسرون ذلك بما يشاهدون.

٦٦ الآلهة العظام آلهة عالميون، خطر إطلاق أسماء الآلهة على أشياء طبعية لاتحس.

٦٧ يؤكد بلوتارخوس فكرة أن الآلهة العظام آلهة عالميون، ويفسر سبب اختلاف أسمائهم.

٦٨ كان المصريون أنفسهم يعملون العقل، ويتوخون الفلسفة فى شعائرهم وأحفالهم. يجب أن تتأمل ما ترمز اليه.

٦٩ تشبه عادات الأغريق عادات المصريين حتى فى مواعيدها.

٧٠ يلوم بلوتارخوس أولئك الذين يطلقون على المحصولات أسماء الآلهة ولا يعدونها هبات إلهية ضرورية، فيخلطون بين فكرة الإله الحقيقية والمظاهر الطبعية.

٧١ ويلوم أيضا قوما يرون فى تماثيل الآلهة الآلهة أنفسهم.

٧٢ لماذا عبد المصريون الحيوان؟ ولماذا أدت عبادة الحيوان إلى اشتداد الخصام بين الأقوام واختلال النظام؟ موقف الحكام الرومان.

٧٣ لماذا عبد المصريون الحيوان؟ كيف كان المصريون يعاملون الحيوان التوفونى والرجال التوفونيين؟ أوزيريس، وآپس، ومنديس.

٧٤ لماذا يبجل المصريون الحيوان؟ لنفعه أم لرمزيته أم للصفتين معا؟ أمثلة.

٧٥ لماذا يبجل المصريون الحيوان؟ لرمزيته: كالتمساح، ولنفعه ورمزيته معاً: كالكلب، وأبى منجل. هل قلد الأغريق المصريين فى رمزية الحيوان؟ أتباع فيثاغورس وكيف أطلقوا على الاعداد والأشكال الهندسية أسماء الآلهة.

٧٦ لماذا بجل المصريون الحيوان؟ فلسفة هذه العبادة وأفضل الآراء التى يراها بلوتارخوس فى تفسيرها.

٧٧ ملابس إيزيس وملابس أوزيريس ترمزان إلى طبيعتهما.

٨٠ — ٨١ الغرض من حرق البخور.

كشاف

« الأرقام المذكورة هى أرقام الفصول »

(أ)

ملحق (١)

الآلهة اليونانية ونظائرها المصرية

الإله اليونانى			الإله المصرى
إبافوس	Ἔπαφος	Epaphos	نيت ، وسرابس
أبوللون	Ἀπόλλων	Apollon	حور (أو « هورس »)
أثينا	Ἀθηνᾶ	Athena	نيت ، وإيزيس
أرتميس	Ἄρτεμις	Artemis	باستة
آريس	Ἄρης	Ares	شو
أفروديتا	Ἀφροδίτη	Aphrodite	حتحور ، ونيفثوس
أوكيانوس	Ὠκεανὸς	Oceanos	أوزيريس
بان	Πὰν	Pan	مين
پرسيفونا	Περσεφόνη	Persephone	إيزيس
پلوتون	Πλούτων	Plouton	أوزيريس
توفون	Τυφὼν	Tuphon	سيث
ديميتر	Δημήτηρ	Demeter	إيزيس
ديونسوس	Διόνυσος	Dionusos	أوزيريس وحرىشاف،وسرابس
ريا	Ῥέα	Rhea	نوت
زيوس	Ζεὺς	Zeus	أمون
سلينا	Σελήνη	Selene	إيزيس
كرونوس	Κρόνος	Kronos	جب ، وأنوبس
هاديس	Ἅιδης	Hades	أوزيريس
هرميس	Ἑρμῆς	Hermes	تحوتى
هليوس	Ἥλιος	Helios	رع، أو أتم ، أو أوزيريس
هيرا	Ἥρα	Hera	إيزيس
هيراكليس	Ἡρακλῆς	Herakles	خنسو
هيفايستوس	Ἥφαιστος	Hedhaestos	پتاح

ملحق (٢)

مشاهير الآلهة المصرية

اسم الاله المصرى باليونانية		الاسم بالمصرية
آپس	Ἄπις	حپ
اثور	Ἄθυρι	حت — حر
ارسافيس	Ἀρσαφης	حر — ش — ف
اروريس	Ἀρουηρις	حر ور
أمون	Ἀμοῦν, Ἄμμων	إمن
أنوبس	Ἄνουβις	إنپو
أوزيريس	Ὄσιρις	أوز — إير
إيزيس	Ἶσις	إست، أست، أزت
سرابس	Σάραπις	أوزير — حب
سيث	Σήθ	ست
موت	Μουθ	موت
مين	Μίν	من
نيفثوس	Νέφθυς	نبت — حت
هارپوكراتيس	Ἁρποκράτης	حر — پ — خرد
هورس	Ὧρος	حر (و)



ملحق (٣)

أسماء بعض أعلام واردة بالرسالة وكتابتها باللغة المصرية

الزمن	الاسم بالعربية	نطق الاسم باليونانية	كتابة الاسم بالمصرية
٢٠٨٢–٢٠٤٦ ق م	سنوسرت (الأول) (الأسرة الثانية عشرة)	سسوستريس (Sesostris)	(سنوسرت)
٥٢٥ – ٥٢١ ق م	قمبيز (الأسرة السابعة والعشرون الفارسية)	كمبوسيس (Cambuses)	(كمبيث)
٦٦١ – ٦٠٩ ق م	بسمتيك (الأول) (الأسرة السادسة والعشرون)	بساميتخوس (Psammetichos)	(بسمثك)
٣٣٢ – ٣٢٣ ق م	اسكندر الأكبر	إلكساندروس (Alexandros)	(الكسندرس)
٣٢٣ – ٢٨٣ ق م	بطليموس الأول (سوتير ، المنقذ)	بتوليمايوس (Ptolemaios)	(بتولميس)

ملحق (٤)

أسماء البلدان الواردة فى الرسالة

(مواضع هذه البلدان موضحة فى « الكشاف »)

(ا)

أبودوس (العرابة المدفونة)
أپوللونوپوليس (ادفو)
أثينا
أخميم
الإسكندريه
أسوان
أكسورونخوس (بهنسا)
الفنتينا (جزيرة أسوان)
إبليس
إليون
ايليثويا (الكاب)

(ب)

بوبلوس
بوتو (تل الفراعين)
بوزيريس (أبو صير بنا)
پيلوسيم (تل الفرما)

(ث)

ثيس (طينه)

(خ)

خميس (أخميم)
خويس

(د)

دلفى

(س)

سايس (صا الحجر)

(ط)

طرواده
طيبه (الأقصر)
طينه

(ف)

فيلاى (جزيرة)

(ك)

كوبتو (قفط)

كونوپوليس

(ل)

لوكوپوليس (أسيوط)

(م)

ممفيس (منف) (ميت رهينة)

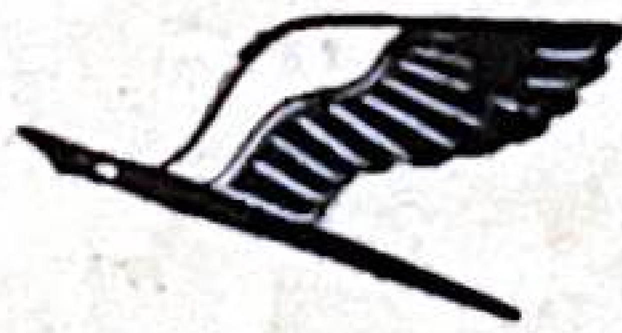
منديس (تل الربع)

(هـ)

هرموپوليس (الأشمونين)

هليوپوليس (عين شمس)

هـيراكليوپوليس (اهناسية المدينة) .





مطابع دار القلم

بالقاهرة



للطباعة والنشر والتوزيع

١٨ شارع سوق التوفيقية

تليفون : ٥٥٠٣٢
